

غزلُ أبي نُوَاسٍ

الدكتور علي شلاق

دار بيروت
للطباعة والنشر

غزلُ أبي نُوَاسٍ

الدُّكُّورِيُّ عَلَى شِلاَقِ

دَار بَيْرُوتِ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ

بَيْرُوت ١٩٥٤

توطئة

ابو نواس احد كبار شعراء العربية في العصر العباسي ، إن لم يكن اعظمهم على الاطلاق ، حسب رأي الأستاذ « ولیم مرسیه » مدعوماً برأي دائرة المعارف الاسلامیة ، إذ قلّ ان نجد له نظيراً في تاریخ الأدب العربي من ناحية التعدّد المخصب في شخصه ، مما يجعله وجهاً حياً صادق الانطباع عن عصره ، ينتقل عبر الدهور ، في جو بغداد ، مدينة العالم الأولى في ذلك الحین ، التي استوعبت مدنیات اليونان ، والرومان ، والبابليين ، والآشوريين ، ومصر ، وفینیقیا ، والهند ، والصين ، وفارس ، ثم استوت تطلب من يتماهى تعبيراً مستجيباً عنها في الفكر ، فكان ابو نواس ، ومن يستشرف آفاقها من اعلى الهرم الافلاطوني حاكماً واعياً ، فكان الرشيد ، كأنّ هؤلاء الثلاثة بغداد ، الرشيد ، النواسي متلازمون في الذهن ، متواعدون للقاء على وجهٍ ما في حقل الزمان ؛ بَيَدَ أنّ النواسي تماهى في التاريخ بوجهين ، الأول نلمحه مخطّطاً في أمهات كتب الأدب والتاريخ ؛ والثاني نداعبه في كتب الأحاديث ، والأقاصيص ، والفكاهات ، حيث يُقرن بالندامی ، ويجمعا ، وبالخلعاء ، والشطّار .

هذان الوجهان أغرياني منذ تدريسي تاريخ الأدب العربي في لبنان وسوريا أن اجلو تلك الملامح ، وأن اعرف بجانبه الوقور العميق ، وبالأخر المرح الممعن في حب الحياة امعاناً ترك افكاره « الوجودية » حارة في مجرى العصور .

فمن اين ابدأ ؟ وقد تهيب كثير من الباحثين الخوض في ابي نواس لسبيين ، الأول أنه عُرف بالمجون والانحراف ، وهما كافيان في عرف المغلقين للانصراف عن البحث فيه ، والثاني أنه شاعرنا جنى على نفسه ، وربما جنى عليه الزمان ، بدفعه في عصر متنوع الاتجاهات ، متعدد الملامح ، متوثب الأفكار ، تجاه حضارة ربما كانت اغرب حضارات التاريخ ، واكثرها روافد . فثار ، واطمان ، وآمن ، وجحد ، وقلق ، وسكن . وبين هذه الحالات ضاع واضطرب كثير من عطائه ، فأصبح من الصعب ردّ الشارد الى أصوله ، والمنحول الى منبعه .

بيد أننا عملاً بمنطق الواقع الذي يجعل معيار الشاعر الحق في شاعريته ، غزله ، اقتحمنا هذه الحواجز المرصودة ، منصرفين عن طردياته ، واماديجيه واهاجيه ، مستعينين بخمرياته وزهدياته ، لأن الشاعر الحق هنا ، فيما فعلناه ، مستمد من التاريخ عبرة وقوة تعيننا على اعلان الفكرة الخالصة ؛ فقد كان بودلير لسنين خلّت لعيناً في عرف التقاليد ، فاذا به اليوم شاعر التوبة ، شاعر المسيحية حيث عمقت من « ازهار الشر » انفاس القلب البشري اللاهب ، الذي جنى من الخطيئة انبل ثمار الصراحة

والحقيقة البشرية .

هنا ، من الذي يتردد عند قراءة زهديات ابي نواس في أن يعلن : « إنه شاعر الندامة في الاسلام » ، وان يحكم لشاعرنا بالتادي البعيد في آفاق الانسانية التي قل ان جراه في مشارفها شاعر في تاريخ العرب .

*

خيل اليّ وانا ادرس ابا نواس ، أنني لم اتعرف اليه قبلاً ، وانّ هذه الصراحة ، وتلك العذوبة ، وذلك التهاون الساخر بتقاليد الناس ، لا تتصل الا بشخص عظيم نادر بين العظماء .

غير أنّ ديوانه (يا للأسف) غير موجود بكامله ، يزداد على هذا كثرة المنحول ، والممسوخ ، والمختلس ؛ وليس غير المجموعة التي اخرجها « اسكندر آصاف » مجموعة تحمل على شيء من الاطمئنان ؛ يضاف اليها ما وجدناه في أمهات كتب الأدب العربي القديمة ، والتي هي موضع احترامنا في اغلب الأحيان .

هذه الدراسة هي موجز اطروحةٍ نوّشت في جامعة باريس ، حذفنا منها المراجع ، وبعض الصفحات ، والملخص ، وعدة موضوعات تنسب الى الاطار العام الذي عاش في ظله الشاعر ،

وبعضها خاصٌ بالنقد وقد كنت حريصاً على اظهاره لولا
مخافة التطويل .

وقد كانت رغبتى متجهة الى دراسة موضوع آخر غير هذا ،
الا ان مساعد استاذنا ليفي بروفنسال ، حملني على طرق هذا
الباب لانه يعمل في حقله منذ سنوات ، واعتقد ان هذه الدراسة
ستجلو كثيراً من الضباب ، كما ستحقق غير وهم واحد بصدد
ابي نواس ، ولا اعدو الصواب اذا قلت : إنها حتى هذه الساعة
لا تزال تقف وحدها .

المؤلف

غزل ابي نواس

الشعر كائنٌ حيٌّ ، يتمثل في صعوده ، وهبوطه ، وامتداده ،
تمثّلَ الفرد ، وتقويمه ، أنّه أئمنُ عطاءٍ بشريٍّ ، يعبرُ عن
حضارةٍ من الحضارات ، اذ أنّ الحضارة هي مجهود الروح في
سبيل البقاء .

ليس الشعر محصول العقل ، او العاطفة ، او الخيال ، او
الموسيقية بخصوصها ، بل هو هذه الاشياء ، ومعها صدى الانسانية
في مراحلها الماضية المختلفة ، وشيء آخر من الغد البعيد .

لذلك اختوت لدراستي شاعراً ، هذا الشاعر لم اقف به عند
العصر الجاهلي او الاسلامي او بعد العباسي ، بل انتقيته من شعراء
عصر القمة في تاريخ العرب ، وبصورة أدقّ لم اتناوله من ناحية
مدائح ، او اهاجيه ، او طردياته ، او خمريات ، او زهدياته ،
بل تشبّثتُ بغزله على اختلاف نواحيه ، لا لأنّ الغزل هو
عنوان الشعر الحقّ ، بل لأنه اخطر ما عند هذا الشاعر ، وهذا
الخطر يكشف لنا عن نفسيةٍ خاصةٍ عند أبي نواس هي التي
نحاول أن نتعرف اليها ، إذ ليس شعر النواصي بخصوصه عبارة
عن التغني بالجمال ، ومطارحة الجوّاري او الغلمان الهوى ،

هو شيء من هذا ، وباطنه حياة أمة ، وحقيقة عصر ، وتصوير
نفسٍ ممتازةٍ بتعدد احساسها ، وتجاربها العقلية ، قالت به ، ما
لا يمكن للفلسفة او العلم ان يقولا ه .

فكما تعطي العمارة فكرة المهندس ، والقضية المنطقية حكم
العالم ، هكذا يفيدنا شعر النواصي عن نفسه ، وعهده ، وامته ،
ويعطينا منهاجاً ملتصعاً عن دوافع إنسانية حرة ، ومحبة للحياة
حارة ، وعبادة للجمال تتبعه كيف كان .

ابو نواس وحده غريبٌ في تاريخ الشعر العربي وتطوره ،
حياته وشعره متلازمان ، لم يكن كالعناهي في ضالة شخصه ،
وتذبذب روحه ، ولا كالسيد الحميري ، او مروان بن ابي
حفصة ، يغنيان بشعرهما المدائح لانسانٍ من البشر لا يكادان
يتعديانه ، ولا كالعباس بن الاحنف حصر وجوده في « فوز »
وانهارت نفسه على اقدمها وعمي عن جمال الحياة في ارجائها
البعيدة .

ولكنه كما كان ينادم الرشيد والأمين وعظماء عصره ، كان
يعاشر الشطار ، والحمارين ، والنصارى ، واليهود ، والمجوس ،
ينقل من اجواء المتوفين والمثرتين الى اوساط الشعب من سوقة ،
وجوارٍ ، وغلمان ، وشذاذ ، وكان المال يتدفق عليه فيحيا
ساعاتٍ حياة الاكتفاء الى ان يعضّه الحرمان وتنهشه الفاقة ،
فهل في تاريخ الشعر العربي واحدٌ مثله عاش للحياة طلقاً ، على
تنوعها ، وخصبها ، لهذا الذي نسميه « الشعب » وكدنا نعبد في

حضارتنا المعاصرة ؟

هنا لا أنسى عروة بن الورد في الفقه الصعاليك ، وبديع الزمان والحريري في تصوير حال المُكدين من عامة الناس ، والـف ليلة وليلة في تعرضها لأجواء الحياة الشعبية ، والجاحظ في حديثه الممتع عن بعض نواحي الشعب الحية ، ولكن كل هؤلاء لم يعيشوها مكتملةً بفنٍّ كأبي نواس ، ولم تظهر شخصياتهم مهيمنةً كما ظهرت شخصيته .

إنه لمن الخطأ الواضح قول بعضهم إن ابا نواس لم يعرف غير الطبقة العليا « ذروة الهرم » فهذا شعر الرجل شاهد على مراحل حياته ، وغزله هو المعتبر في التمييز والطرافة لا خمريّاته ، اذ انه سبق بخمريين كثيرين ولكنه لم يسبق بشاعر واحد لامع عني بالجمال المطلق عنايته الملحوظة .

حتى إن الذين عاشوا معه في عصره ، منهم من لم يجرؤ على الجهر بمكنونات شعوره كما فعل ، او انهم أعلنوا ولكنهم لم يتخذوا من عبادة الجمال ، بل من حرية القول ، فناً مستقلاً مستوفى . سجن ابو نواس ، وشُرّد الى مصر ، وذاق الحرمان ، كل ذلك في سبيل ان يعيش حياته بحريّة ، هذه الحرية التي ننشدها في اصفى واسمى صعودنا البشري على الاطلاق ، والتي هي ارقى مطلع نحدونا اليه الحضارات .

مناحي الغزل عند ابي نواس

بعد هذا يمكنني أن أقسم غزل أبي نواس الى نسائي ،
وغلامي ، ونساء غلاميات ، وغللمان متأنثين ، وغزل خموي ،
وغزل تقليدي ، وهو يتوزع على قصائده التي بدأها بالغزل على
الطريقة القديمة ، وعلى خمرياته التي تلازم الغزل ، والغزل يلزمها ،
وعلى قصائده في الجواري مستقلةً ، وقصائده في الغلمان على حدة ،
ولا ريب ان المتتبع لهذا الشعر يجد فيه المنحول ، والمدخول ،
ولكن لا يصعب عليه أن يجد ابا نواس على كل حال .

على أن أكثر المضطرب في هذه الناحية ما جاء في خمرياته
وغزله ، لموافقتها هوى الناس ، في ان يزدوا عليه ما دار في
خواطرم ، ولأن شخص النواصي بهذا الخصوص أصبح رمزاً ،
أصبح فكرة .

لكني - وهذا رأيي يبدو غريباً - اميل الى اخذ كل ما
يروى عن ابي نواس لأنه يعطينا صورةً عن فهم الناس له على
اختلاف عصورهم ، وندرك كيف قلّده ومثّلوه ، بل ربما
جاء هذا الخليط شرحاً لانسان ابي نواس الكامل . اما من جهة
التاريخ وتحقيقاته ، فلا شك في أن ما له يجب أن يميز بما لغيره .

الغزل النسائي النواصي

المرأةُ أساس كل موضوع غزليّ ، اذ هي مقصد الرغبة الطبيعية في الانسان ، فكل ما ينشأ بعدئذٍ من انحرافٍ او شذوذ ، فانما نشأ عنها نفسها ، مثل عسر الوصول اليها ، والاخفاق في كسبها ، او عدم توفر عناصر الحب عند الرجل ، او عندها ، يضاف الى ذلك عاملٌ اجتماعيٌّ ملحوظ .

فالحبّ العذري ، فالأفلاطوني ، فالصوفي ، فالغلاميّ ، كله منبعثٌ عن ذات المرأة ، الى مدار الانحرافات الأخرى ؛ والغزل عند أبي نواس ، بدأ طبيعياً بخصوص عاطفة الحبّ التي تتجه باعتدالٍ الى المرأة ، لأنّ تعلقه بالرجال من الجهتين الجنسيّتين ، الرجال الذين أفسده وهو فتى ، لم يكن ليتمكن منه في تلك السنّ المبكرة ، تمكّناً يفسد طبيعته الجنسيّة ، فيحوّلها .

شبه المجمع عليه أنّ عشقه لجنان جارية عبد الوهاب الثقفي كان عشقاً عنيفاً ، لم يجرب مثله في مراحل حياته الأخرى ، إذ انه حب الشباب الباكر . في هذا الوقت كانت جنان نفسها ندلّنا على سنّ الشاعر عندما نعتته بالفتى ، لذلك لا نعدو الواقع اذا قلنا إنّ جنان هي المرأة في حياة شاعرنا التي عنها

انبعثت بعض مشاكله الجنسية والمذهبيّة كما يبدو بالاضافة الى
مؤثرات البيئة وغيرها، ولنا ان نحدد هذا العشق قبل سن الثلاثين
وحول العشرين ، لانه قصد بغداد في سن الثلاثين مخلفاً جنان
في « حكمان » ، ثم ان كثرة ما قال فيها من الشعر ، يحتمل
أن يكون محصول عدة سنين ، بيد أن التاريخ لا يعرض لهذا
ويتركنا للاستخلاص التقديري .

*

المرجّح أنّه أخفق في حبّ جنان ، وان عطفها عليه لم
يكن تامّاً يشبع نهم الشاعر العاشق ، ذلك راجع الى ما يشاع
عنه من تخنثٍ ، والى حبه للغلمان ، وإلى ما عرف عنها من
انحرافها الى حب النساء من جنسها ، حسب رواية ابن منظور .
بعد هذا يجدر بنا أن نتساءل من هي جنان وما مقدارها ؟

جنان

حدث الأغاني « أن جنان كانت جارية آل عبد الوهاب
الثقفي المحدث ، وكانت حلوة جميلة المنظر ، أديبة ، ويقال
إنّ أبا نواس لم يصدق في حبه امرأة غيرها . »

وروى ابن منظور أنها « كانت حلوة ، جميلة المنظر ،
بديعة الحسن ، أديبة ، ظريفة ، عاقلة ، تعرف الأخبار ،
وتروي الأشعار ، وكانت مقدودة ، حسنة القوام ، ويقال إنّ أبا
نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها . »

ومن دلائل هذا الحبّ العنيف انه يراها في كل حال مظهراً
للجمال التّامّ ، حتى في المأتمّ ، فهي فيه معنىً من معاني العرس :

« يا منسي المأتمّ أشجانه لما أتاهم في المعزينا
سرت قناع الوشي عن صورة ألبسها الله التحاسينا
فاستفتنتهنّ بتمالها فهنّ للتكليف يبكينا
حقّ لذاك الوجه ان يزدهي عن حزنه من بات محزونا »

المرحلة الثانية من مراحل هذا الحبّ الذي بدأ إعجاباً ،

أنّه خرج على حيّز التعرّض لها في طريقها ، فاغلظت له القول ،
فأرسل اليها يعتذر ، فقالت للرسول أن يبلّغه : « لا برج
الهجران ربّك ، ولا بلغت املك من اجبتك » فرجع الرسول
ولم يخبره بواقع الحال ، لكنه ادرك بفراسته الحقيقة فقال :

« فديتك فيم عتبك من كلام نطقت به على وجه جميل
وقولك للرسول عليك غيري فليس الى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول له انكسار وحال ما عليها من قبول
ولو ردّت جنان ردّ خير تبين ذاك في وجه الرسول »

في هذه القطعة والتي قبلها ، سهولة ظاهرة ، وتأليف من
شاعرية ناشئة ، نلاحظ لذلك خطابه بلغة المذكر « يا منسي
المأتم » في البيت الأول ، و « اتاهم » وقوله « سرت قناع
الوشي » في البيت الثاني بخطاب المؤنث ، على أن المعنى في القطعتين
عادي لطيف .

ومن جملة ما عاتبها به حتى استألفها قوله فيها :

علقتُ من لو أتى على انفس الماضين والغابرين ما ندما
لو نظرت عينه الى حجر ولد فيه فتورها سقما

المرحلة الثالثة أنّها بدأت تشعر نحوه بشيء من الهف ،
حدث الجمّاز قال : « كنت عند ابي نواس جالسا ، اذ مرت

بنا امرأة^١ ممن يداخل الثقيبين ، فسألها عن جنان ، وألحفها في المسألة واستقصى ، فقالت : « سمعتها تقول لصاحبها من غير أن تعلم انني اسمعها : » وبجك قد آذاني هذا الفتى وأبرمني ، وأخرج صدري ، وضيق عليّ الطُّرُق بمجدّة نظره وتهتكه ، فقد لهج قلبي بذكره ، والفكر فيه من كثرة فعله لذلك ، حتى رحمته .
فلما ذهب المرأة انشأ يقول :

يا ذا الذي عن جنان ظلّ يخبرنا
بالله قل وأعد يا طيّب الخبر

قال : اشتكتك وقالت ما ابتليتُ به
أراه من حيثما أقبلتُ في اثري

ويعمل الطرف نحوي إن مررت به
حتى ينجّلني من حدّة النظر

وإن وقفتُ اه كما يكلمني
في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر

ما زال يفعل بي هذا ويدمنه
حتى لقد صار من همّي ومن وطري «

تحدثنا هذه الابيات بتصوير صادق كمشهد السينما ، عن حال المحب الناشئ وكيف يندفع بطيش وفضول وراء المحبوب ،

وتلعه في الكلام عند المقابلة ، كذلك العذري الذي « يُبَهِت
حتى لا يكاد يُجيب » اذا رأى حبيبته وجهاً لوجه وكان قبلاً
يفكر في معسول الكلام ليزفه الى سمعها .

المرحلة الرابعة مرحلة المجران بعد الصداقة ، اذ بعثت
اليه تقول : « لقد شَهِرتني فاقطع زيارتك عني اياماً لتقطع القالة . »

هذا لا يقوله محب صادق ، على انها كانت تواعده الى اللقاء
فتخلف الوعد معه ، فيتحرَّق شوقاً اليها ويقول مثل قوله الآتي :

« جفنٌ عينيّ كاد يسقط من طول ما اختلجُ

خبريني فدتك نفسي واهلي متى الفرجُ

كان ميعادنا خروج « زيادٍ » وقد خرجُ

أنت من قَتَل عائذك في اضيق الحرجُ »

زياد هذا كما يقول ابن منظور (ص ١٨٤) ابن عبد الوهاب
الثقفي الذي كان يتعشق « بانة » امرأة ابيه وان « عبد المجيد »
حبيب بن مناذر كان منها لشبهه به من حيث الجمال ، على أن
الاغاني يذكر أن محمداً ، اكبر اولاد الثقفي ، هو الذي كان
يعشق « بانة » .

هنا ، نزل ابو نواس عند رغبتها وقطع زيارتها ، ولكن

أقلبه لم ينقطع عن ذكرها .

*

الظاهر أنّ هذه المرحلة كانت اخطر مراحل الشاعر الغرامية ،
واكثرها تعقيداً ، فقد بلغه انها شتمته مرةً فقال في ذلك :

وا بآبي مَنْ اذا ذُكرتُ له وطول وجدي به تَنَقَّصني
لو سألوه عن وجه حجتَه في سَبِّه لي لقال يَعْشَقني
نعم الى الحشر والتناد نعم أعشقه او أُلْفَ في كَفني
اصبح جهرأ لا استسرّ به عَنَّفني فيه من يعنفني
يا معشر الناس فاسمعوه وعوا إن «جناناً» صديقة «الحسن»

هذه الأبيات تظهر لنا اولا سبّه لما يشاع عنه من الشذوذ ،
ذكر ابن منظور ان مولاتها أحبّت أن تهبه جنان ، فلما كلمتها
بذلك اشتربت عليها أن لا يلوط ، فلم تستطع مولاتها أن
تضمن هذا الشرط .

ثانياً استعانت به بأسلوب المتكلمين والجدليين في شعره «عن
وجه حجتَه» .

ثالثاً هذا الظرف الذي يبرر عشقه العنيف بصياحه عالياً أنه
يجب الاقتضاح في حبها ، وان يشرّكها معه في ذلك .

هذه الابيات يرويها الديوان في «عنان» ، واذا عرفنا انها لم

تكن من المتروصّات كجنان وانها كانت افجر وافحش من أن
تخشى التشهير، يرجع اذن انها في جنان حسب رواية ابن منظور،
وكثيراً ما يشبه شعره فيها لقربهما في الوزن والحروف .

ولما بلغها ذلك منه زادت في هجره ، فرآها في المنام أنها
تصاله فكتب اليها :

« اذا التقى في النوم طيفانا عاد لنا الوصل كما كانا
يا قرة العين ، فما بالنا نشقى ويلتدّ خيالانا ؟
لو شئت اذ احسنت لي في الكرى أتممت احسانك يقظانا »

الاحلامُ - في الغالب - صدى تفكير الانسان في اليقظة ،
فهي لذلك حديث ضميره وباطنه ، على انه تمادى في استرضائها ،
وتمادت في امتناعها ، الى أن تقابلا صدفةً في ديار التقفين ،
فجبهته بما كره ، وآلمته ، ثم ندمت على شدتها عليه بعد ذلك
فأرسلت اليه رسولاً تصالحه ، فردّه ، ولم يصالحها ، فرآها في
النوم على تلك الحالة فقال :

« دسّت له طيفها كيما تصالحه
في النوم حين تأبى الصلح يقظانا

فلم يجد عند طيفي طيفها فرجاً
ولا رثى لتشكّيه ولا لانا

حسبت أنّ خيالي لا يكون لما
أكون من أجله غضبان غضباناً

« جنان » لا تسأليني الصلح سرعةَ ذا
فلم يكن هيناً منك الذي كانا »

في هذه المرحلة يظهر ان الشاعر لم يفقد كرامته في حبه ،
فكما هجرته وامتنعت عليه ، يمتنع عليها أيضاً فتُقبل لمراضاته ،
فيشتد في انصرافه ، طاوياً نفسه على حبها الذي لم ينقص
في حقيقته .

الطريفُ في موضوع الحلم النواصي ، أنّه يجعل لطيفه
شخصيةً مستقلةً واعيةً ، تستطيع ان تبزم الصلح او تنقضه
دون استشارة وعيه ، وأنه يقيم محاورةً بينه وبين جنان في
الحلم ، كما لو كانا في اليقظة ؛ فجعله اللاواعية مدركة ، دلالةً على
تفكير خاصٍ لم نلاحظه عند غيره من الشعراء .

هاتان القصيدتان « النونيتان » ذكرهما الديوان في غير
جنان بخلاف ابن منظور والأغاني ج ١٨ .

١ شهر من المسلمين بعد عصر النواصي من عني بتفسير الأحلام « كآبن سيرين »
معتمدين على القرآن والحديث في تفسير رموز الأحلام ، وعلى شيء من دراسة
المزاج الانساني ، على أن من أشهر من درس موضوعات الأحلام في
المعاصرين « السر اوليفر لودج » في كتابه « على حافة العالم الأثيري » طبع
في القاهرة وترجم الى العربية .

المرحلة الخامسة يظهر انهما تراضيا ، ولكن الشاعر مُنيّ
بتحملها الى « حَكَمَان » مع ذويها ، وحكمان هذه « ضيعة »
« لأبي عثمان » اخي مولاها ، مشتركةً بينه وبين ابن عمه
« أبي مية » ، وهنا تطول غربتها على الشاعر ، وهو لا يستطيع
الشخوص اليها ، بدليل تعنيف مولاها وتهديده ابا نواس
« عَنَّفَنِي فِيهِ مِنْ يَعْنِفَنِي » (ابن منظور ص ١٩٢) .

فاكتفى بالشعر ينفّس به عن صدره ، والعمل الشعريّ ،
ككلّ صارفٍ ذهنيّ ، يخفف من حدة الأشواق ، على ان ابن
منظور يروي أن أصل تعرفه بها كان في متنزهٍ مع أهلها ،
فلاحظها^١ ، ونحن لا ندري مقدار صحة هذه الرواية ، اذ ما
هي تلك الرابطة التي تجمع شاعراً خليعاً بمحدثين محافظين وفقهاء
كآل الثقفين ؟ وما علاقته بابن مناذر صديقهم الا بعد ان فسق
ابن مناذر لموت حبيبه عبد المجيد .

ذكر الاغاني و « ابن منظور » أن ناساً كانوا يتناشدون
قول ابي نواس الآتي :

« أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ « حَكَمَان »
كَيْفَ خَلَفْتَا « ابا عثمان »

١ ابن منظور ص ١٧٨ وثارة اخرى يروي ابن منظور أنه تبعها دون ان
يعرف من تساكن ومن هي ؟ ص ١٧٩ ابن منظور .

و « أبا مَيَّة » المذهب والمآجد
والمرتجى لرب الزمان

فيقولان لي : جنانٌ كما سرّك
في حالها فسل عن « جنان »

ما لهم ؟ لا يبارك الله فيهم
كيف لم يُغن عنهم كتابي »

وكان الى جانب المتناشدين شيخٌ يصغي الى حديثهم وهو
يضحك . ولما سأله عن سبب ضحكك ، اجاب انه هو
« ابو عثمان » نفسه ، وجنان مولاة اخيه ، ولم تكن في موضع
عشقٍ ولا عشرة ، ولا كان مذهب ابي نواسٍ النساء ولكنه
عبثٌ خرج منه .

يُحمل كلام ابي عثمان محل دفاع الرجل المحافظ عن نسائه
وسُمعته ، إذ انّ عمل الحبّ لا يحتمل الصدق والكذب في
الحكم ، بل هو ثابتٌ بالطبيعة ، وفي شعر ابي نواسٍ بالواقع ؛
والظاهر أن مقامها في « حكمان » لم يكن للفسحة ، بل هرباً
من الشاعر وتعرّضه ، قام به ذووها المتخرجون ؛ وهنا يشتد
شوقه اليها ، ويكثر الحديث والسؤال عنها :

اما يفنى حديثك عن جنان ولا تبقي على هذا اللسان
اكل الدهر ، قلت لها وقالت فكم هذا ؟ اما هذا بفان ؟
النخ ...

ولما صار الى بغداد كتب يتشوق إليها :

« كفى حَزَنًا أن لا أرى وجه حيلة
ازور به الأجاب في « حكرمان »

وأقسم لولا ان تنال معاشر
« جناناً » بما لا اشتهي لجنان

لأصحتُ منها دانيَ الدار لاصقاً
ولكنّ ما أخشى - فُديتَ - عداني

فواحزنا ، حُزناً يؤدي الى الردى
فاصبح مأثوراً بكل لسان

أراني انقضّت أيام وصلي منكم
وآذن فيكم بالوداع زماني »

اذن فقد ثبت من شعره أنّ انتقالها الى حكرمان كان هروباً
بها من ابي نواس بعد أن هدّده أهلها « لولا ان تنال معاشر .. »
فالمعاشر ذووها لا شك ، ولا يُستبعد بعد هذا أن يكون بُعد
جنان عن البصرة مما حمّله على قصد بغداد ، ولتغيير موطن
الحبيب تخفيف على المحبّ ، خاصة إذا علمنا أنّه ملّ المكث
الى جانب العباس زوج أمه ، فتركها غير نادم هاجباً البصرة
واهلها والعباس معها .

حجّه مع جنان

لم ينقطع أبو نواس عن ذكرها وهو في بغداد ، لعمق أثرها في نفسه . روى ابن منظور أنه تحدث عن ذلك فقال : « وخرجتُ الى بغداد وفي نفسي بقايا من حبها ، ما فارقني ولا تفارقني إلا مع خروج روعي . »

هذا البعد الذي ارغم العاشقين أن ينفصلا ، حملها على أن تبغى الحيلة ، في ساعةٍ من ساعات حنينها اليه ، فتخبره أنها ستحجّ مع ذويها ، فعزم غريقُ لذات بغداد على الحج ليراها ، وسجّل لنا ذلك في شعره :

« أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَفْنَيْتَ عَمْرِي بِمَطْلَبِهَا ، وَمَطْلَبُهَا عَسِيرُ
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَيْهَا يَقْرِبُنِي وَاعِيتَنِي الْأُمُورُ
حَجَجْتُ وَقُلْتُ قَدْ حَجَّتُ جَنَانَ لِيَجْمَعَنِي وَابَاها الْمَسِيرُ »

هذه الأبيات تظهرنا على تعلق الشاعر بجنان، وأنه لم يواصلها، وإن حبها له كان حبّ المرأة لنفسها ، حبها أن ترى من يكلف بها ، ويتبعها ، أكثر من شغفها به لنفسه ، مع أنها لم تخلُ أحيانا من شيء من الهفّ اليه .

ثم إنّ حجّ النواصي هذه المرة حجّ مسرحيٌّ ، درَجَ عليه غيرُ واحدٍ من افراد غصابة السوء ، عثرائه .

حكى « سليمان بن نوبخت » قال : « خرجت للحج واستصجبتُ أبا نواس بعد امتناعٍ منه ونفارا^١ وشرط عليّ ان اتقدّم معه الحاجّ الى « القادسية » فنقيم نشرب « بطيرناباذ » فنزل على خمارٍ كان يألفه اسمه « سرجس » فشرب يومه وليلته ثم انتبه يقول :

وخمارٍ انخت عليه ليلاً قلائص قد ونين من السفار
فلم يزل كذلك حتى ورد علينا اوائل الحُجّاج عائدين ،
فرحنا معهم الى بغداد ، على أننا كنا حجبنا معهم^٢ .

مثل هذا الحج المسرحي يروى عن مطيع بن إلياس ويحيى ابن زياد ، اذ خرجا حاجين من بغداد ، فلما وصلا الى « دير زاره » مالا ليستوفيا من حائاته ومُرّده ، فامتد بهما المقام حتى قفل الحجاج ، فحلقا رأسيهما ، وركبا بعيرين ، ودخلا مع الداخلين كأنهما قد حجّا ، وفي ذلك يقول مطيع :

١ لأنه يقول في ديوانه ص ٢٧٢ :

« وقائل هل تريد الحج قلت له نعم اذا فئت لذات بغداد
كفكف بالحج لي ما دمت منغصاً في بيت قواده او بيت نباد
وهبك من قصف بغداد تخلصني كيف التخلص لي من طيرناباذ »
هذا دليل على انه زعمي للحج غير مرة تكفيراً عن ذنوبه فكان يرفض ،
ولكن جنان راسلته بذلك فاستجاب ، ومن الثابت انه حج مرة اخرى مع
الفضل بن الربيع .

٢ ألحان الحان ص ٤١ .

ألم ترني ويحيى إذ حجبنا وكان الحجّ من خير التجاره
 خرجنا طالبّي خيرٍ ودينٍ فمال بنا الطريقُ الى « زرارهِ »
 فأب الناس قد غنموا وحجّوا وأبنا موقرين من الحساره^١ »
 أبو نواس ذو احساسٍ غريب ، زُبقي ، ينتقل من حالة الى
 حالةٍ حسب الجوِّ ، فهو في مطاف الكعبة ، ينغمر في جوه الدينيِّ
 الخالص ، فينسى كل شيء الا صفاء الابتهاال الى الله فيأخذ في
 التلبية ، والناس يرددون معه :

إلهنا ما اعدلكُ لبيك قد لبّيتُ لكُ
 لبيك إن الحمد لكُ الخ .

لأبي نواس في جنان ما يقرب من خمسين مقطوعة بين
 القصيرة والطويلة ، وليس لغيرها في شعره ما لها ، عرضها الديوان
 في باب غزل المؤنث وغيره من كتب الأدب والرواية .

يتفاوتُ غزله فيها بين اعتدال العاطفة ، وجموحها ، وبين
 تأليها أحياناً ، أو العبث في غزله بشكل مضحك .

فهو تارة يشبهها بغزاةٍ ، لكنها مقنعةٌ ترعى ثمر القلوب
 دون تكلف :

« مقنعةٌ بثوب الحسن ، ترعى بغير تكلفٍ ثمر القلوب »

١ الحان الحان ص ٤٢ .

واخرى يجعلها رمز الحُسْن المتجدد الباقي :

« وذات خدٍّ مورّدٍ فتّانة المتجرّدُ
تأمل الناس فيها محاسناً ليس تنفدُ
الحسنُ في كل جزءٍ منها معادٌ مردّدُ
فبعضه في انتهاء وبعضه يتولدُ »

ومن اغرب غزله فيها ، هذا الغزل الحسابي ، الذي يظهر
لنا تمكّنه من هذا العلم ، كما يظهر تطرّفه المضحك في مثل
هذا الشعر :

« جنانٌ حصّلت قلبي فما إن فيه من باقٍ
لها الثلثان من قلبي وثلثا ثلثه الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى وثلثُ الثلثِ للساقِ
فتبقى اسهم ستّ تجزّأ بين عشاق »

واحياناً يخلع عليها رداء الألوهة :

« بكمال صورتك التي في مثلها يتجسّر التشبيه والتمثيل »

وانتهى امره معها أنّ سيادها باعوها لرجل قدم البصرة
فارتحل بها ، ولما بلغ ذلك ابا نواس قال :

« أمّا الديار فقلّ ما لبثوا بها
بين اشتياق العيس والركبان

وضعوا سياط الشوق فوق رؤوسها
حتى طلعن بهم على الأوطان »



مع « عنان »

هذه « عنان » جارية الناطفي ، قينةٌ أخرى عشقها أبو نواس ،
عشقاَ يختلف كثيراً عن عشقه « جَنان » نظراً لاختلاف جوّه
النفسي إزاءها ، ولتطور سنّه ، ولفرقٍ ظاهرٍ بين نفسيّتي
تبنك الجاريتين .

« عنان » امرأةٌ عاشت للفنّ ، شأن الكثيرات من هواة
الفنون في عصرنا ، لا ضير عليهنّ من التبذّل ، والانطلاق بعد
كل حدّ ، فاذا كانت رابطةُ الحبّ العنيف جمعت بينه وبين
« جنان » وهو شاب طريّ العود ، جذبتّه اليها اشياء أخرى
تستهوي شاعراً مثله ، غير جمالها ، كونها راوية للشعر والاخبار ،
فإن « عنان » تفوق جَنان علماً ، وادباً ، وحريةً ، وشخصيّةً
الفنيّة أنمى بكثيرٍ من شخصيّة جَنان ، واما في الشعر فهل
عرفت العربيةُ مبادهاً أو مبادهةً يتفوقان عليها ؟

انها اعجوبةٌ في هذا المضمار !!!

إلى ذلك فهي تعيش حياةً منطلقةً ملحوظةً ، وتظهر بين افراد
عصابة السوء ، الذين هم من عنوانات النباهة والمواهب في هذا
العصر ، ظهوراً بيّناً مرموقاً ، ليس لها تكبرٌ « جنان »

غرورها ، وهي اقرب الى اخلاق فحول الرجال منها الى
اخلاق النساء ، غير أنّ المؤسف ضياع شعرها شأن كثير من
شعر العربي ؛ لهذه الكفاءة ، ضمّها الرشيد الى نسائه كما
سنروي ، ولما ذكرنا نجد أنه يندر أن نجد قريباً لها في
الشاعرات .

روى العقيد الفريد « أنّ الرشيد غُني في ليلة ساهرة
شعر جرير :

« إنّ الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا »

فطرب الرشيد أيّما طرب وقال جلسائه : « من يجيز هذه
الآيات ؟ وله هذه البدره من الدنانير » ، فقال من حضّر قولاً
يضعوا فيه شيئاً ، فتقدم خادم على رأس الرشيد قائلاً
أنا بها « فاحتمل البدره ثم جاء عنان فأكتبته :

« هيّجت بالقول الذي قد قلتّه

داء بقلبي ما يزال كميناً

قد أينعت ثمراته في طينها

وسقّين من ماء الهوى فروينا

كذب الذين تقولوا يا سيّدي

إنّ القلوب اذا هوين ، هوينّا »

فلما وصلت الأبيات الى الرشيد قال : خلعتُ الخلاف
من عنقي إن باتت إلّا عندي . وبعث فاشتراها بثلاثين
الف دينار . »

والظاهر أنّ الرشيد كان شديد التعلّق بها . قال الأصمعي
« ما رأيت الرشيد متبدّلاً قط مثلما رأيته وقد كتبت اليه
عنان رقعةً فيها هذه الأبيات :

« كنتُ في ظلّ نعمةٍ بهواكا
آمناً منك لا اخاف جفাকা
فسعى بيننا الوشاة فأقررت
عيونَ الوشاة بي فهناكا
ولعمري ، لغير ذا كان أولى
بك في الحقّ يا جُعلت فداكا »

فأخذ الرشيد الرقعة وعنده جماعة من الأدباء قالوا ابياتاً على
رويّ أبيات عنان ووزنها فلم يفلحوا الى ان قال الرشيد :

« قد تمّنتُ أن يغشّيني الله نعاساً لعلّ عيني تراكا »

غير أن ابن منظور يروي أنّ الرشيد ردّها الى سيدها
لتعلّقها بها واغلائه ثمنها .

قال ابن منظور : وكانت عنان جارية الناطقي لا تبالي م

قالت ، فوقع بينها وبين أبي نواس شرًّا ، فدرست اليه سفهاء
الكرخ ، والعيارين ليصبحوا به اذا ما صادفوه :

« أبو نواس اليماني وأمه جلبان
والنفل افطن شيء الى حروف المعاني »

كذا هي في ابن منظور « النفل » ولا معنى لها الا ان
تكون النفل بالعين بدل الفاء ، على أن ابن منظور نفسه يرويها
ص ٣٣ - ٣٤ « والناس افطن شيء » بدل والنفل ، وينسبها
لأبان ، وكان الفضل بن الربيع ، واسماعيل بن صبيح كاتب
الأمين ، يعملان للإيقاع بينهما طلباً للهو ، على أن لها مساجلات
مع النواصي نعرض عن ذكرها لخروجها على المألوف ، عرض لها
ابن منظور ، ومن اطيب مساجلاتها مع النواصي حسب رواية
الديوان ما يلي ، ويرويها العقد الفريد بينها وبين الباهلي .
قال النواصي أجيزي :

هذي عنان اسبلت دمعها كالدرّ اذ ينسلّ من خيطه

فأجابت وكان سيدها قد ضربها :

فليت من يضربها ظالماً تجفّ كفّاه على سوطه
فقال :

فما زال يشكو الحب حتى حسبته تنفّس في احشائه فتكلما
فاجابت بعد اطراق قليل :

ويبكي فأبكي رحمةً لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دماً
ثم قال اجيزي :

بديع حسنٍ بديع صدِّ جعلت خدِّي له ملاذاً
فأردفت :

فعاتبوه ، فعتفوه فأوعدوه فكان ماذا ؟
أرجح أن المساجلة جرت بينها وبين النواصي لقوة الشاعرية
معنىً واسلوباً في الأبيات المعروضة على عنان لتجيزها .
ذكر الوشاء : أن عنان جارية الناطقي كتبت على منديل
وجّهت به الى ابي نواس وكانت تحبه :

« أما يحسنُ من أحسنَ أن يغضبَ ، أن يرضى
أما يرضى بأن صرتُ على الأرض له أرضاً ؟ »

في هذين البيتين أثرٌ ظاهرٌ للصنعة البديعية التي اولع بها
مسلم بن الوليد ، والنواصي أحياناً ، فالمقابلة بين يغضب ويرضى ،
والجناس بين يرضى وارضا ، وهما رغم الصنعة خاليان من
الضعف الملحوظ في شعر النساء عادةً ؛ كما يسجلان ميلها نحو
ذلك الميل المؤسس على تقدير ادبي وتجانسٍ فني .

*

ومن أخبارها مع ابي نواس ما رواه ابن منظور قال :

دخل أبو نواس يوماً الى دار الناطقيّ ، والمجلس حافل بين
بائميّ محبّ ، وناظر متعجّب ، ومستفيد متعلّم . فقال لعنان :
حيبي عن هذا البيت :

أيت نجوم الليل لاحت كأنها من الذهب العقيان احمر خالص
فقلت عنان :

نشبتها ليلاً مصابيح راهبٍ عليه ثيابٌ باليات قوالص
فقال أبو نواس :

راني لأهوى من حبيب احبّه مداعبةً منه واهوى المداعقه
فقلت عنان :

جرعه ريقى واشرب ريقه فما تنقضي مني ومنه المزاعقه
في البيتين الأولين تناسب تام في الصورة والمعنى على ان
بيت « عنان » اقوى من بيت ابي نواس ، مع أنها لم تروّ فيه ،
ل قالت على البديهة ، وهو اكثر تنوعاً . فهي لم تنس أن
نقل لنا صورة الليل ولونه ، الى جانب صورة النجوم ولونها ،
مكنت الصورة التشبيهية ، بالراهب البالي الثياب ، ومصابحه
لشرقة ؛ على طريقة التشبيه التمثيلي المركب ؛ وهذا دليل على
نصب قريحتها .

واجتمع مرة اقطاب عصابة السوء وهم الواسطيّ ،

والخليع ، والرقاشي ، والورّاق ، والحياط ، والقراطيسي
ورزين الكاتب ، وعنان ، وابو نواس ، ثم مضوا
الكرخ ، فتذاكروا ضروب الأدب ، واقترحوا ان يصيروا
الى من يقول احسن الشعر في دعوتهم اليه ، فأنشدوا جميعاً
على اختلافهم في الفجش ، والاعتدال ، والذي يهمننا من كل ها
قولُ عنان :

مهلاً افديك مهلاً	عنانُ أخرى وأولى
بأن يُنال لديها	أشهى النعيم وأحلى
فانّ عندي حراماً	من الشراب وحلاً
لا تطمعوا في سوائي	من البريّة كلّاً
يا إخوتي خبروني	أجاز حكيم أم لا ؟

ذكرتُ قطعة عنان كاملةً متجاوزاً عن قول الباقيين ، لاتصا
بموضوعنا ولأنها جاءت افضل منهم في حلاوة التعابير ، ولطه
الوزن ، وحسن البناء ، لولا ما في تعليق الجار والمجرور
اول البيت الثاني بما قبله .

مثل هذا المجلس يدلنا على أنّ افراد عصابة السوء
المستهترين كانوا يعيشون في حياة تشبه الاشتراكية ، تجمع بين
الخمرة ، ومحبة اللهو ، كما جمعت الحرية الفكرية
اخوان الصفاء .

ومن بديع رسائل النواصي الى عنان ، تلك التي يظهر فيها
تأججه وظرفه إذ يطلب منها ان لا تأمن على سرّها وسرّه الا
القرطاس ، او طائر الهدد ، الذي همّ سليمان بذبحه لولا أنه
كان قوّاداً جمعه ببلقيس .

وقعت تلك الرسالة الشعرية التي تتألف من ثلاثة ابيات في
يد صديقه مسلم بن الوليد فشقّها ، فلما بلغ ذلك أبا نواس بعث
اليه بقصيدة فحواها « أنّ الذي يقوى على تخريق رسالتي لهو قاسي
القلب كالصخرة ، وأنّ الرسائل عزيزة عليه كأنها عيناه او
رأسه ، ولولا الرسائل لمات العاشقون ، وأنت يا احق الناس
كيف غفلت عن أنّ كاتب الرسالة صديقك الذي أجرى فيها
أنامله ، وقلمه المجبر ؟ »

✱

عرضتُ في هذه الترجمة الوافية الى قصة النواصي مع امرأتين ،
إحداهما كانت موضوع حبّه الفنيّ الشاب في البصرة ، والثانية
كانت موضوع حبه الأدبي في بغداد ، اقصد به ، ذلك الاستلطاف
الشعوريّ ، والجاذب الفكري ، والتقدير الفنيّ . اما الناحية
الجنسية بالنسبة الى هاتين الجاريتين فهي تختلف قوةً وضعفاً ،
فهو إزاء جنان عاشق ملهوف حاد العاطفة ، وهو إزاء الثانية
صديق ، الأولى عروس شعره ، عرشها في قلبه ، والثانية
رفيقة محبة ، عرشها في ذهنه .

●

النواسي والجواري الاخريات

ذكرت كتبُ الأدب أسماءَ الكثيرات ممن تعرّض لهنّ
النّواسي بالحبّ ، وكلهنّ من الجواري الاءاء ، ليس فيهنّ
حرة واحدة ، وأكثرهنّ عذّبْنَه وصددن عنه ، لذلك كثرت
الشكوى في شعره حتى حقّ لنا أن نسميه شاعر « المهجران » .
وسأعرض في مبحثٍ خاص عن أدب الجوّاري الى هذه الظاهرة .

سمجّه

من هؤلاء الجوّاري « سَمَجَه » التي يقول فيها :

« لو ظفرت كفّي بها مرّةً أكلتُ في سبعةِ أمعاء
وُلدتُ في حبك يا منيتي بطالعٍ ليس بمعطاء »

غريبٌ امر هذه الحاسّة المتعدّدة الجوانب عند ابي نواس ،
انها حاسّة معقدة الشهوة ، سباعيّةُ الأداة ، فاذا عشق جنان
بقلبه ، وعنان بفكره ، فانه يعشق هذه بمعدته ، عشقاً حيوانيّاً
خالصاً ، وذلك دليلٌ على قيمتها ، فهي تكاد تكون جسداً فقط .

وفي البيت الثاني إشارة الى تعاطيه علم النجوم ، وربط
مصير الانسان بأحد الأفلاك .

غير أنّ له قطعةً أخرى جيدة البناء ، فيها أثرٌ من الصنعة
البديعة كالطباقي ، ولكنه فيها ضئيل العاطفة :

« غصتُ منك ، بما لا يدفع الماء وصح هجرك حتى ما به داء »
الخ ...

وله فيها قصيدة بائنة عرضها الديوان يذكر فيها كيف كان
قلبه خالياً ، فامتلاً بحبها ، وأنّ ذلك مقدّرٌ عليه في الكتاب ،
كما يشير الى « جبريته » كما يستدل منها أن سمجه صغيرة السن
ولكنها رائعة الجمال :

أشاعها في شباب جسمي طرفي من طفلة كعاب
رغم صغرها ، فقد استطاع أن يستميلها إليه ، لولا أنه
ووجيء باحد أقربائها يفرق بينهما ، فحمل عليه ابو نواس ، حتى
فسد ما بينه وبين اهله :

كأنه وسطهم غريبٌ لم يك منهم بذى انتساب
غير ان مقامها يرتفع عن ان تكون غرضاً شهوياً فقط ،
اصبح يحبها بقلبه بدل بطنه :

ويدخل حبها من كل قلب مداخل لا يغفلها المدامُ

دنانير

« هي مولاة يحيى بن خالد البرمكي » ، وكانت من احسن

النساء وجهاً ، واظرفهنّ ، وأكملهن ، وأحسنهنّ ادباً ، وأكثرهنّ
روايةً للشعر والغناء ، وكان الرشيد متعلقاً بها ، ولكنها كانت
مثلاً في الوفاء لسيّدها البرمكي . « تطلّع اليها النواصيّ لجماعه
وفتها ، فماذا كان حظه منها ؟

لندعه يحدثنا بشعره عن هذا الحظّ :

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في وصال مشيت بلا شكّ على الما
يشبهها بالمسيح تشبيهاً معلقاً على زهدها في الدنيا ، بقدر
زهدها في وصله ، غير أنه في قصيدةٍ أخرى يحدثنا عن ظفّره بها
يا معشر العشاق ما البشريّ قد ظفرت كفي بمن أهوى
واصلي من بعدكم احبّتي كذاك أيضاً لكم العقبى
ضمتُ كفيّ على درّةٍ لا شركة فيها ولا دعوى
لما تملأت سروراً بها أغربتُ عني سائر الدنيى
هذه الأبيات تخالف الواقع ، لما فيها من ضعف البناء
وفساد المعنى ، إذ أنّ « البشريّ » تكون من الآخرين له
لا منه لهم ، ثم كيف يضمّ كفيه على درّةٍ هي من مخزوء
يجبى البرمكيّ وهو سيّد ذلك الزمان ؟ إلاّ اذا كان ذلك
تصوّراً في الحلم .

حسن

« طفلةٌ خودٌ رداح هام قلبي بهواها

قدّها احسن قدّ فاسألوا من قد رآها
 ما براها الله إلا فتنةً حين براها
 تنثر الدرّ اذا غنت علينا شفتها
 وترى للعود زهواً حين تحويه يداها
 ربما أغضيتُ عنها بصري خوف سناها
 هي هي ومنائي لبتي كنت مناها «

هذه الأبيات تُظهرُ لنا « حُسْنَ » صغيرة السنّ ، مغنيةٌ
 رعة ، وعازفة متقنة ، وهي كسائر الجوارى يحبها ولا تحبه ،
 يتقرب اليها بقصيدةٍ أخرى يتلاعب فيها بلفظ اسمها ومقابلته
 اسمه لذلك تلزم الصداقة بتقارب الاسمين بين المسمّيين :

« غير أنّي سميُّ وجهك
 لم أحرمة في اللفظ والهجا والكتابة »

قال : « إنّ » اسم حسنٍ لوجهها صفةٌ
 لم أر هذا في غيرها اجتمعاً

فهي اذا تُسمّيت فقد وُصِفَتْ
 فيجمع اللفظ معنيين معاً «

وهي على حدّاثه سنها طويلة فارعة ، وهو يعشق الطويلات :

طويلة خوط المتن عند قيامها ولي بالطويلات المتون ولو

ثم هو لم يظفر منها بغير أن يتسناها :

سأنتي بهذا ما حيت على المنى
وإن اغفل العشاق ذاك وضيّعوا

وقد يقارن بين فعلها ووجهها فيقول :

« لو كان فعلك مثل وجهك لم يكن
عني اليك شفاعَةٌ لا تُشفعُ »

عريب

« كانت عريب مغنّية محسنة ، وشاعرة صالحة الشعر مليحة الخط ، والمذهب بالكلام ، على جانب عظيم من الجمال والظرف ، واجادة الضرب والنغم ، والمعرفة بالأدب ، لاعبة بالنرد والشطرنج ، قيل إنها بنت جعفر بن يحيى البرمكي ، وانتهت بعد نكبة البرامكة وهي صغيرة . »

على ان الصولي في كتابه « اشعار اولاد الخلفاء » يذكر ان من جارية كان اشتراها جعفر في أخريات أيامه .

تحقيقاً لهذه النسبة ، نجد أن نكبة البرامكة كانت سنة ١٨٧ هـ وكان موت النواسي على ابعد مداه سنة ١٩٩ . وبين النكبة والوفاة ما يقرب من اثنتي عشرة سنة ، فلنفرض أن

كلمة « أخريات » تعني ولادتها قبل ذلك بعام او عامين على الأكثر ، فهل من المعقول أن يتغزل النواصي وهو متقدم في السن بفتاة قاصرة صغيرة ؟

المسألة لا تخرج عن احد امرين : إما أن تغزل النواصي بها غير واقع ، او أنه عرفها وتغزل بها وهي في سنّ تسمح بذلك .
على أن ما جاء في ديوانه كهذا البيت :

اسعديني على الزمان عريب انما يسعد الغريب الغريبا
فيه اشارة الى هذه الالفه الحاصلة من اثنين جمعت بينهما
الوحشة ، هي بنكبة ذويها ، وهو بحاله اليائسة .

وقال فيها وقد سمحت له بقبلة ، وامتنعت عن الأخرى ،
ضمّن قوله مثلاً فارسيّاً :

فابتسمت ثم ارسلت مثلاً يعرفه العجم ليس بالكذب
لا تعطين الصبي واحدة يطلب أخرى باعنف الطلب

فهل من المعقول أن تنعت عريب رجلاً كأبي نواس بالصبي ؟
م أن ذلك لمشابهة الحالة وتطبيق المثل ؟

ثم ان له فيها قولاً آخر هو :

فان كان الصواب لديك هجري فعمّاك الا له عن الصواب

في هذا البيت تجافٍ عن الذوق ، وملاطفة المحبوب ،
لا يصحُّ بحال أن ينسب إليه العمى . وله فيها قطع أخرى مُتفاوتة
ليست شيئاً .

*

في حياة أبي نواس جوارٍ أخريات ، له فيهنّ قطع شعريّة
تختلف قوةً وضعفاً ، منهنّ عبده ، ورحمه ، وقاتل
ومكنون ، ونبات ، ومنى ، ومغريه ، وغيرهنّ ممن لم تظهر
اسماؤهنّ جليّة ، او ضاعت اخبارهن الحقيقية ، وفي الديوان
باب غزل المؤنث طرف من شعره في بعضهن .

قال في عبده :

« سأشكر للذكرى صنيعتها عندي
وتمثيلها لي من أحبّ على البعد

يقرب به التذكار حتى كأنني
أعائنه في كلّ أحواله عندي

فقد كادت الذكرى تكون كأنها
مشاهدةٌ لولا التوحش للفقد

تمثل لي ان لا اقول على النوى
فيا ليت شعري ما الذي احدثت بعدي

لأنني وإن كانت من الناس واثق
لنفسى منها بالوام على العهد

لا أكاد أفرق بين هذه القطعة الرائعة ، في استيفائها المعنى ،
لطف عرضها ، والتتبع الفكري فيها ، وبين طريقة ابن الرومي ،
مع انه يفضل ابن الرومي بالسبق ، وتمهيده له هذه الطريق .
« أسلوب » واضح « كأسلوب الكتاب » ، وانسياق فكري بديع ،
ذكرنا بعذوبة « الاستحضار » عند الصوفية ، الى شيء من
التشاؤم يلح في البيت الأخير « وإن كانت من الناس »

والنواصي قوي « الاستحضار » يمتاز بتحليل دقيق للنفس ،
من ذلك قوله في جنان :

ويُدمن اللحظات في كأسه كأن من يهواه في كأسه
وله في أخرى :

فكلما جاءني الرسول لها رددت شوقاً في طرفه بصري
هذا ما لم نعرفه في شعر العرب قبلاً ، بل هو من ابتداء
لنواصي ، الذي يظهر انه كان قوي التصور للشيء فيعرضه
مامك فاذا بك في مثل حالة الشاعر نفسها .

قال يصف العاشق المهجور :

« تناومت جهدي فلم أرقد ونام الحلي ولم يسهد

أقلب طرفاً قليل اللحاظ وإن قرّ عن جسدٍ مقصدٍ
وانهض في طرباتٍ تهيج والزم طوراً فؤادي يدي »

لا أعلق على هذه الأبيات فإنها لوحة تصف ذاتها .

وقد يميل الى جاريةٍ من الجواري فتعترّ عليه ، فيغضب
لذلك ويشهرها كأن نسبة عشقه لها عارٌ ، نظراً لما عرف به
من شذوذ ، وفي ذلك نلمح عناد الاطفال وعبثهم ، وللشاعر
اكثر حالات الاطفال :

انا اهواك فموتي كمدا اني لستُ بسالٍ أبدا
كما أنه يشير الى عاطفة الحبّ عنده في بعض الأحيان ،
فيشبهها بالضيف العابر :

فالحبُّ ضيفٌ عليّ معتكفٌ والقلب من محنةٍ على خطر
وتارةً يشفق على حبيبته من ان تحبّ ، لأن مزاجها
الرفيق قد لا يحتمل الحبّ واهواله ، متكئاً على تعبير قرآنيٍّ
في وصف اهل جهنم ، فاستعاره بلباقة للعاشقين :

« يعزّ عليّ أن تجدي كوجدي لأنّ الحبّ اهونه شديدٌ
رأيت الحبّ نيراناً تلظّي قلوبُ العاشقين لها وقودٌ
فليت لها اذا احترقت تفانت ولكن كلما احترقت تعودُ
كأهل النار إن نضجت جلودُ أعيدت للشقاء لهم جلودُ »

وقد تتحكم به القافية فيتكلف لها ما ليس طبيعياً ، غير
أنّ هذا منه 'يحمل على التماجن والسخرية كما يلي :

« ومقربةٍ ابصرتها فهوريتها
هوى عروة العذري والعاشق النجدي

فلما تمادى هجرها قلت واصلني
فقلت « هذا الوجه » ترجو الهوى عندي ؟

فقلت لها لو كان في السوق اوجه
تباع بنقدٍ حاضر وسوى نقد

لغيرت وجهي واشتريت مكانه
لعلك ان تهوي وصالي من بعد

وان كنت ذا قبحٍ فاني شاعر
فقلت ولو اصبحت نابغة الجعدي »

« فالجعدي » هنا من مقتضيات الوزن ، اذ أنّ النواصي
لا يعتقد بفضل الجعدي عليه غير انه اشار الى أنّ الشعراء لهم
سوقٌ رائجة عند الجواري ، كاسياً هذه المعاني العادية مسحة
من الظرف .

ومن بدائع خياله اخلاق الذي يندر توفره لشاعرٍ غيره
قوله في جاريةٍ لم يذكر اسمها ، طرد الليل بالكشف عن وجهها ،
بما حمل الليل على الهرب ، كذلك فعل الصبح الذي لمح نورها

فيخاف فضيحتة ، لانه اقل منها ، ثم يُلقي هذا الجمال العجيب
على السّحر ، والسّحر متكأ شعراء العرب الذين يجعلونه غاية
مبالغتهم في تفسير الجمال ، على ضوء المغيب المجهول :

« وليل لنا قد جاز في طوله القدرا
كشفنا له عن وجه قينتنا الحدرا

فولّى برعبٍ قبل وقت انتصافه
كأنّا ألحنا عند ذاك له الفجرا

واقبل صبحٌ قبل وقت مجيئه
فأدبر مرعوباً وقد كسي الذّعرا

فبتنا بلا ليلٍ وقمنا بلا ضحى
كأنّا نصبناها لذاك وذا سحرنا

وبانا على رسم النجوم كلاهما
وما منهما الا يُرامقنا شزرا »

تمتاز هذه القطعة بجنيهاها الوثاب من قمة الى قمة ، بانسجام
واتساق رائعين ، وفي البيت الأخير أروع ما يتصور لشاعرٍ
في الفطنة الى كمال الصورة وقيمتها . اذ ان تشبيه وجه القينة
بالفجر مألوف ، غير أنّ الطرافة جمع الليل الى الصبح ، بالهرب ،
ثم إبانة العجز عن اكتناه حسننها بنسبته الى السّحر ، ثم يخفق
بجناحه هذه الحفقة البعيدة المدى ، إذ بثّ الليل والصبح في

النجوم ، ليجعل وجودهما أكمل في جمال الجارية فهما يرمقانه
بحسدٍ وحنق .

لم اتعرف الى شاعرية بهذا التعدد والتنويع ، والتصرف
بأشياء الطبيعة كأنها احرف الى جانب الأبيدية ، ليبين
عن غرضه .

على انه يبلغ في ترف المعنى ولطف التعبير الغاية في
مثل قوله :

« نفسٌ من المسك اكنست جسداً
صوّر من درّةٍ على قدر »

فقد هبط من عالم المعاني الى عالم المحسوسات ، فشه معنويّاً
وهو النفس ، باديّ وهو الجسد المصوّر من درّةٍ .

أبو نواس سريع التبدّل ، يعشق بكامل وجوده ، ولكنّ
عشقه لا يدوم طويلاً ، بل يتنقل بسرعةٍ من حالٍ الى حالٍ ،
ولكنه مع ذلك كلّّه يضع مذهباً في العشق :

« إني لأبغض كل مصطبرٍ عن إلفه في الوصل والهجر
الصبر يحسنُ في مواضعه ما للفتى المشتاق والصبر »

ومن ابرع لفتاته الذهنيّة ، في تصوير فرحه بكأس

الحبيب ، قوله :

« نازعتها الكأس فيه فضلتها ففزتُ بالكأس بعد ومراس
فكادت النفس للسرور بها تخرج بين المدام والكاس »

وأما المبالغة فهي من مظاهر أسلوبه الشعريّ ، كثيراً ،
يخرج بها عن المألوف فيحمل عليه الناقدون بسبب ذلك
الحُجُوج :

يكاد خيال الطّرف يجرّحُ خدّها
إذا برزت من خدرها حين تطرفُ

وهو كثيراً ما يردّد هذا المعنى السالف إذ يجعل المحبوب
عرضة لأن 'يجرّح' بالوهم أو التخيل من اللحظ .

وقد يتكلم على معاني القرآن في كثير من أبياته الغزلية

يا ناهر المسكين عند سؤاله الله عاتب في انتهار السائل

ويردد غير مودة معنى كون اسمه صفّةً لوجه المحبوب ، غير
مكتفٍ بذلك ، بل يضع والديه موضع الأولياء الذين يكشفون
بكراماتهم الغيب :

اسمي لوجهك يا منى صفّةٌ فكفى بوجهك مخبراً باسمي
الله وفقّ والديّ له من قبل ان اهوأك عن علم

الغزل الفلاديمي

النظرة التاريخية

قبل أن اعرض الى غزل أبي نواس في الذكور ، ذلك نزل الذي اعلن عن خطورة تشبه الثورة في عصره ، من جهة اجتماع والأدب ، رغم أنه مسبوق بإشارات غزلية في الغلمان ، ما من حركة مجموعية الا تمهد لها حركات تتقدمها قبلاً ، فذ نفسي بعرض تذكارات تاريخية عن هذا النوع من الحبّ الذي يستهجنه الرأي العام الانساني رغم تقدم الدراسات الجنسية ، نسامي الأذواق الحضارية في فهم الجمال الطليق .

هنا ألفت الى القرآن الذي هو أدقّ واقوى مرجع عربيّ ، ذا الخصوص ، حين تحدث عن قوم لوط في سورة « الأنبياء » آية (٧٤) وفي سورة الأعراف (آية ٨٠ - ٨١) « ولوطاً قال لقومه اتأتون الفاحشة ، ما سبقكم إليها من احد من المين ، انكم لتأتون الرجال شهوةً من دون النساء ، بل انتم بم مسرفون » .

وفي سورة هود (الآيات ٧٧ - ٧٨ - ٧٩) : « ولما

جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب ، وجاءه قومه يهرعون اليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتي هنّ اطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تحزّون في ضيفي ، أليس منكم رجلٌ رشيدٌ ؟ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق الخ ... »

تفيدنا هذه الآيات أن شعب إسرائيل ، المجاور للشعب العربيّ ، ابتلي بهذه العادة ، واذا طلبنا ذلك في الشعر العربي الجاهلي ، الذي ضاع كثير منه واختلف ، لا نعدم اشارة الى هذا ، والقرآن نفسه حجة قاطعة في أنّ العرب عرفوا هذا الانحراف الجنسيّ ، نذكر لهذا الآية ١٩ في سورة الانسان : « يطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً . »

عرضت هذه الآية في مجال ترغيب المؤمنين في نعيم الجنة . فنحن لا نذكر حورها الا بذكر ولدانها ، هنا يُعد كلام الجاحظ مدفوعاً بخصوص كلامه فيما وُجد من كتاب المعلمين من أنّ هذه العادة حصلت باحتكاك العرب بالحراسانيين بسبب الحملات العسكرية ، كما يندفع كلام الذين اشاروا الى هذا الشذوذ من المعاصرين والقدماء .

على أنّ التوراة (تكوين ١٣ : ١٣ - ١٩) تذكر اخبار سدوم وعمورة ، وكيف انغمسوا في هذه اللذة . وكذلك اليونان ، الذين اطلقوا على هذا النوع من الحب صفة المثالي ، والشاهد على ذلك مائدة افلاطون ، واسطورة « زوس » كبير

الآلهة مع الأمير « جانغيد » الطروادي ، اذ اتخذ الاله صورة النسر وخطف الأمير الشاب الى جبل الأولمب، كما ان الدكتور « Nacht » في كتابه « Pathologie de la vie amoureuse » يذكر كيف أن هذه العادة الجنسية فشّت في أثينا ، فروما ، فيزنطية ، وايران ، وقرطاجة ، واسبارطة ، واديرة القرون الوسطى، وبلاد العرب، فاميركا، واوروبا اليوم، وان في المانيا خمسين بالمئة يمارسون هذه العادة .

ولا ننس مظاهر هذه العادة في الأدب ، فإن من جملة التهم التي وجهت الى سقراط انه افسد اخلاق الشبان ، وبعد ذلك اشارة شكسبير في متطوعاته (Lessonnets) المعروفة بالأربعة عشرية، حين يبحث فتاه الجميل على الزواج كيلا تحرم الدنيا من نسله الحلو ، وقصة « دوريان جراي » لاوسكار وايلد ، ثم ما عرف عن بول فرلين، وشاعر اميركا « والت هويتان » وميكال انجلو المثال الذي نظم قصيدة غزلية في صديق له من الأشراف، واخيراً اندره جيد في رسائله مع بول كلوديل وغيرها .

ليس في الأمر قضية فضيلةٍ او رذيلة في نظر الدراسة النفسية ، غير ان الخطر الحقيقي لهذا الانحراف كائنٌ في وهن الصلات بين الجنسين ، واتجاهها الى الجنس المائل ، مما هو في واقع الأمر فاجعة .

ولخير الف مرة ألاّ يوجد الجنس البشري من ان تُطَمَّان الغريزة بهذه الطريقة !!!

النظرة البسيكولوجية

ليست الوراثة مسؤولةً عن الانحراف الجنسي الى الذكور ،
اذ انه من النادر انتقال الانحراف من الوالد الى الولد ، فهو
يختلف عن الامراض الاخرى ، كالزهري والماليخوليا والكحولية ،
وما هو الا ظاهرة نفسية للخنوثة مردّها الى اختلال الطاقة الجنسية
نفسها ، بما يؤدي الى الجموح الشبقي .

والمنحرفون تجاه المرأة على أصناف ، منهم من يبقى منجذباً
اليها ، يهوى صحبتها ، وآخرون يخافونها ، والقسم الأخير لا
يشعر نحوها بأيّ اهتمام .

✱

محبة الام اساسٌ للانحراف عند هؤلاء الشاذين ، فكلما
تقادم المنحرف في السن ، ظهر أثر الام في حركاته ، اذ هو في
حاجة ملحة الى عطف الام ، بخلاف الطفل العادي الذي
يتقمص أباه .

وينمو المنحرف نمواً الانوثة فيصبح امرأة مع الرجل ، نتيجة
التشبث بالام ، فهو ينظر بعد ذلك الى كل امرأة على انها

بدل من أمّه ، ولكنه بدل محرّم عليه ، فكأما سوّلت له نفسه
 التحدّث فيه ، تجسّم له خطر الاختصاص ، فهو يميله الى الذكر
 بطمئنّ على عضوه من الاختصاص ، لذلك فهو يعبد القضيب ،
 ويلتصمه ، واول ما يظهر هذا لديه بالرغبة في رؤية عضو ابيه ،
 وهو بمعاشرته الصبيان يتقمص اياه وامه في نفس الوقت ، فالعطف
 الذي يهبه للصغار ، انما يهبه لنفسه كما لو كانت امه مصدراً له ،
 وهو بمحبته ذاته ، انما يعوض عن فشله في حب أمّه ، اذ أن
 ذلك الانحراف يكون مسبباً عن الاخفاق في حب الطفولة ،
 او في حب المراهقة .

يرى فرويد (Sigmund Freud) أن سبب الجنسية المثالية
 فشل في الحب الذي عُوّني في الطفولة لا في المراهقة .

*

« يتلخص من آراء كثير من العلماء بخصوص التخنث ، أن
 الاختلال في الوظائف العضوية يكون أكثر ظهوراً في هيئة
 تركيبهم وبنيتهم ، من حيث تجويف الحوض وقربه بما عند
 المرأة ، ومن حيث اكتناز الشحم ، ونعومة البشرة ، ورقة
 الصوت وطراوته ، وتوافر الاستعداد الفني — كالميل الى
 الموسيقى والغناء — عند ذوي الانتكاس من المتعلمين ، يظهر
 هذا عند الفنانين الاوروبيين الذين يتشبهون بالنساء متخصّبين
 متمشطين وعند مشاهير المغنين العرب ، فهذا « طويس » المغني
 الدقّاف كان يخضب يديه الى المرفقين ، وذلك ابن سريج المغني

العواد كان خفيف العارضين لا لحية له ، يلبس الثياب المصبغة ،
ولا يغني الا منتقياً .

☆

هذه آراء علميّة بخصوص المنحرفين ، يرجعون السبب في
الانحراف الى فساد في البنية الرجولية ، والى التثبث بالأم ،
والاخفاق في حبها ، يضاف اليها اثر البيئة الاجتماعي ، ووضع
حضاريّ مخصوص ، حيث تحجب المرأة فيه فيعسر الوصول
اليها ، او يتطور الذوق في تقدير الجمال ، وبالأحرى ، الا
يمكن ان يردّ ذلك الى الرغبة الجنسية نفسها في جميع الاعتبارات
لا بخصوص الانحراف وحده ؟ فالغريزة تبحث عما يشبعها
بأي شكل .

بقي أن ننظر في شاعرنا النواصيّ على ضوء هذه المعلومات
لندرك مقدار شذوذه ، ومن اي صنف هو تجاه المرأة ، أعاجزاً
عنها تماماً ، او انه يرغبها ويرهبها ، او انه من الصنف الذي بقي
يهوى معاشرتها ومحبتها ، ولم يفقد حيويته نحوها ؟

من المعلوم أنّ ابا نواسٍ فقد اباه صغيراً ، فربّته أمّه ،
موجّهةً اليه كل اهتمامها لتعوّض به ما فقدته بوفاة زوجها ، هذا
لا ريب في انه كان مؤثراً الأثر الملحوظ فيه من ناحية تعلقه
بهذه الأمّ ، غير انها اضطرت الى العمل بغسل الثياب او غزل
الصوف لتعيش ، فأخذت بممارسة العمل تصرفها عن ولدها المدلل

« الحسن » ، وفي الدرجة الثانية ، عهدت به الى الكتّاب ليتعلم القراءة ، فزاد بعده عن أمه ، ثمّ انتقلت الى دارٍ وفقت الى امتلاكها وكانت تجمع فيها الرجال والنساء فزاد ذلك في قلق « الحسن » وخوفه من ان يحرم ذلك العطف ، واوجس في قرارة نفسه رهبةً من هؤلاء الذين يغدون ويروحون الى دار امه ، كأنهم خصومه ، يريدون ان يسلبوه أغلى شيء عنده ، وربما كانت تبدر من هؤلاء المتجمعين عند امه اشارةٌ فاسقةٌ تحاول الام وتحرص على اخفائها عن عيني ولدها « الحسن » .

واخيراً تزوجت برجل بصريّ اسمه « العباس » هجاء ابو نواس ، وهجا معه البصرة ايضاً .

هنا نستدلّ أنّ ابا نواس اخفق في حب أمه ، وأن حبه لأبيه او تقمصه في ابيه لا يمكن أن يُدرك لحدائث سن الطفل عند وفاة ابيه ، غير أننا نعلم بعض الشيء عن ذلك الأب من انه كان جندياً ، والجندي يتربّى على قوة الارادة ، وحادّة المزاج ، مما يجعل الأم كالمتلاشية الارادة ازاءه .

واما من ناحية العشرة ، والوسط الاجتماعي ، فكان كل ما فيه يمهّد السبيل الى انحراف ابي نواس .

فقد عهدت به امّه الى براء العود لتتخلص من مراقبته ، وبعد براء العود الذي عُرف بحبّه للغلّمان يأتي دوره مع والبة المعروف بحبه للغلّمان ، وكذلك استاذ ابي نواس « ابو عبيدة »

المشهور عنه ذلك الميل . وقبل هذا وبعده - زيادة على الوسط الاجتماعي - مزاج ابي نواس الفني كشاعر ، وكعازفٍ على العود، وان التاريخ يذكر لنا انه كان جميلاً ، حسن الاعضاء ، في صوته بحّة ، وأنه كان ميالاً إلى الغناء . روى ابن منظور أنّ والبة بن الحباب ارتاع لما كشف عن بدنه .

على أنّ شعر الرجل دليلٌ بيّنٌ على نعومة ذوقه ، وعذوبة نغمه ، يزداد على ذلك أنّ ابا نواس مركّب الاحساس بالشيء ، يعيشه بأكثر من معنى واحد ، يعيشه بكامل كيانه لا يفرد عضو بالاحساس عن آخر ، فهو بحسّ الحمر لا بفمه بل بكل حواسّه ، اذ انه من الظلم أن يفرد فمه بشربها ، فيتروكها تشع على يديه ، ويطلب من الساقى أن يذكر له اسمها في سمعه ، ويمارس اللذة الجنسية كيفما شاء ...

لكنّ ابا نواس لم يفقد احساسه بالمرأة مطلقاً ، خاصة عند حبه جنّان التي لو افلح معها لبعد عن شذوذه وضعف الدافع اليه . على انني امسك عن الاسهاب في استعراض هذا الغزل الشاذّ لدراسةٍ أخرى ربما جاءت اوسع لطبقة خاصة من المثقفين .

مظاهر غزل ابي نواس الغلامي

على العموم يكثر ابو نواس في غزله الغلاميّ من التحقّق والشكوى ، لهجران من أحبّ من الغلمان ، حتّى انّ ذلك الغلام يمتنع عليه في الاحلام ، وقد مرّ معنا انه في غزله النسائيّ يردّد كثيراً كلمة « الهجران » فهو ابدأ في لوعة واشواق :

افنيت فيك معانيّ الشكوى وصفات ما التقى من البلوى
قلّبت آفاق الكلام فما أبصرتني أغفلتُ عن معنى
واذا نجوت القلب فيك وجدتك في الحشا ادنى الى النجوى
وقد لا يجد في غلامه الا ملاكاً هبط من السماء ، فكل
جميل في الدنيا يعيش قابساً من حسنه ويحاكيه :

معاذ الله ، لست بآدمي فقل لي هل نزلت من السماء
وربما سجّل بغزله عادة تزويق الغلمان ، وتطريهم كالنساء :

يا أيها الريم الذي صادني بمقلةٍ في اللحظ حوراء
وحاجبٍ كالنون قد نمتت فوق حجاج العين زجاء
ومحجر انور من فضةٍ مجلوةً بالصقل بيضاء

وعارض أظهر تشبيكه كروضة الفردوس خضراء
شعره يزيد المرد قبحاً ، وقد ألبسه نوراً بلألاء

فاذا صاغ الله الناس من لحم ودم ، فعلامه من غير طينة الناس

يتيه على العباد بحسن وجهه وشعره قد اطليل على قفاه
براه الله من ذهب ودُرٍّ فأحسن خلقه لما براه
فلماً خطّه بشراً سوياً هذا حور الجنان على حذاه

واذا كانت العين رسول القلب الى الجمال ، فقد تنشب بينهم
حربٌ ، بسبب التورط في الغرام :

إن متّ منك وقلبي فيه ما فيه ولم ائل فرجاً بما اقاياه
ناديت قلبي بجزن ثم قلت له يا من يبالي حبيباً لا يباليه
فردّ طرفي على قلبي بحرقته هذا البلاء الذي ادليتني فيه

وهنا محتج الطرف الباكي على القلب الذي هو سبب البكاء

ارهقتني في هوى من ليس ينصفني
وليس ينفكّ من زهو ومن تيه

ومن اغرب تشبيهاته ، مقابلته القبله بالكتابة ، في قو
لغلام قبله فمسح خده من اثر القبله :

« يا ماسح القبله من خده من بعدما قد كان اعطاها

خشيت أن يعرف إعجامها مولاك في الحدّ فيقراها
ولو علمنا أنه هكذا كنّا اذا بُسّنا مسحناها »

واذا نغم على دجلة التي غيّبت حبيبها ، لا ينسى نسبة زيادة
الماء الى دمعها :

« وقفت ابكي على سواحلها فمن دموعي كثرة الماء »

يفار ابو نواس على غلامه حتى من الحمى التي يتهمها بحبه
لأنها تلازمه ، فيجعل لها صفات البشر :

« اقول للسقم كم ذا قد لهجت به
فقال لي : مثلما تهواه اهواه »

ويتمنى ان يكون محموراً بدلاً من غلامه ، وفي كلامه لهبٌ
وحدة عاطفة :

فديتك جسمي كان احمل للشكوى
وكان عليها منك يا سيدي أقوى

فديتك لم انصفك اذ أنت لابسٌ
شعراً من الحمى ولم ألبس الحمى

ثم هو كثير الاستخدام لتعابير القرآن ، والحديث ، والشرع ،
والمذاهب في شعره ، بحيث يشعر المطلع على شعره أنه أمام

محيطٍ عالم بهذه الاشياء .

قال في غلام متعبّد قرأ في صلاته وهو إمام : « ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله الا بالحقّ » فحاجّه بكلامه آخذاً عليه ذلك القتل لعاشقٍ مثل ابي نواس :

ولم أنس ما ابصرته من جماله
وقد زرت في بعض الليالي مصلاه

ويقرأ في المحراب والناس خلفه
ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله

فقلت تأمل ما تقول فانها
فعالك يا من تقتل الناس عيناه

وقد يطلبُ من هذا الغلام أن يرافقه الى فقيهٍ من الفقهاء ،
ليتعرف الى الحلال والحرام فينصرف هذا الغلام عن قتله
بغير حقّ :

اتعدو للحديث الى فقيهٍ وتنظر في الحلال وفي الحرام
فهل حدثت عن قتلي بشيء من الفقهاء يا بدر التمام ؟
ويتهم الذين لم يحبّوه من الغلمان ، فيبادلوه عاطفته ، بانهم
خالفوا حديث الرسول :

ما لي أحبُّ ولا أحبُّ وإن وصلتُ فليستُ أوصلُ ؟

إن كان قد كذب الحديث فكلُّ ما يُروى سيَبطلُ
خالقتمُ الخبر الذي يروى لنا عن خير مُرسلٍ

ما هذا الخبر يا أبا نواس ؟ فيجبينا بيتين يضمهما هذا
الحديث المشهور الذي عناه بقوله السابق :

إن القلوب لأجناد مجتدةٌ لله في الأرض بالاهواء تعترفُ
فما تعارف منها فهو مؤتلفٌ وما تنافر منها فهو مختلفٌ

مذاهب

وما أكثر ما يتكئ على معاني اصحاب المذاهب في غزله :

وصار أعراضاً بشاشاتكم ومات ذاك السهلُ والمرحبُ
فقال اليك يا جمّاشُ عنّا فإني من حديثك في اعتزال

« فواحرباه من عيني بلذتها جنت ضرري
فان عاتبته فيها احوالتي على القدر
فتخصمني فأسكت لا أحير القول كالحجر »
فلان وجاد لي بعد امتناع كذاك الله يفعل ما يريد

هذه الكلمات اعراض ، واعتزال ، وقدر ، والله يفعل ما
يريد ، تشير الى مذاهب المتكلمين ، والمعتزلية ، والقدونية ،
والجبرية ، فالذي لم يطلع تماماً على فكر هذا العصر يصعب عليه

فهم النواصي .

ولا ينسى اصطلاحات الفقهاء واحكامهم الشرعية ، فيعبث بها ، ويتخذ منها سبيلاً الى غزله الظريف :

ما زلت صائم سخطكم حتى يفطرني الرضا
طرفك زانٍ قال دمعي اذن يجلدك اكثر من حدّ

واما المناطقة فروح اسلوبهم تظهر في كثير من ابياته الغزلية :

حلفت للسقم اني لست اذكره
وكيف يذكره من ليس ينساه !

ما طار طرفي الى تحصيل صورته
الا تداخلي من حسنها عجب

اما المبالغة فقد اتهم بها واصبحت من مظاهر شعره في بعض حالاته ، منها ما قصد به الى تكميل صورة المحبوب ، فاطلق عليه ما يطلق على الله :

يا بدعةً في مثالٍ لا مدركاً بالصفات

وقد تجيء مبالغاته مشروطة « بلو » مبرّرة الافراط كما في هذه القصيدة الرائعة :

وظبي تقسم الآجال بين الناس عيناه

تعالى الله ما احسن ما صورته الله
فلو انّا جحدنا الله يوماً لعبدناه

ومنها مبالغة "مركوزة" على تسلسل منطقيّ وخيال لطيف:

تمناه طرفي في الكرى فتعتبّا
وقبّلت يوماً ظله فتغيّبّا

وأنبوه اني قد مررتُ ببابه
لأسرق منه نظرة فتحجّبّا

ولو مرّ نفخ الريح من خلف اذنه
بذكري لسبّ الريح ثم تغضّبّا

وما زاده عندي قبيح فعاله
ولا السبّ والاعراض الا تحجّبّا

وبما أخرجه المبالغة عن ان يكون غزلاً فسمح وسخف
مثل قوله :

نتيج انوار سماويّة
حليف تقديس وتطهير

يكلّ عن ادراك تحديده
عيون اوهام الضائير

فَقُتَ مَدَى وَصْفِي وَلَكِنْ ذَا
- تفديك نفسي - جهد مقدوري

وكيف احكي وصف من جلّ أن
بحكيه عند الوصف تقديري

الا بما نخبر امشاجه
من كامن فيهنّ مستور

هذا تفلسفٌ خارج عن حدود الشعر لغلبة العنصر
المنطقي فيه ، فضعفت الحاسة ، وقل النغم ، وبهت الكلام
والنثرُ أصلحُ لمثل هذا النظم المتكلف .

ومن المبالغات المضحكة حقاً هذه القطعة التي رواها الاغ
للنواصي ، وتروى للنظام ايضاً :

توهّمه قلبي فأصبح خده
وفيه مكان الوهم من نظري اثرُ

ومرّ بفكري خاطراً فجرحته
ولم ار جسماً قطّ يجرحه الفكرُ

ومنها ما جاء عمليةً حسابيةً ، وقضية شرطية ، رغم
النظام اعجب بهذا التركيب العجيب وحكم له انه اشعر النا
لاشارته الى الجزء الذي لا يتجزأ :

تزكت مني قليلا من القليل اقلا
يكاد لا يتجزأ اقل في لفظ من «لا»

لكنه بلغ القمة في لطف الاداء وعذوبة الانسجام ، رغم
لافراط الظاهر :

ومستتر عني بضوء جبينه يخيل في وهمي كخطوة خاطر
لئن كانت الاوهام تجرح خده باسياف اوهام العيون النواظر
فان قلوب العالمين لذكره جوارحها مكرومة بالحناجر
وقوله :

بالنسباً يدق عن كل لمسٍ لطف جسمانك المكون نورا
ما رأينا مثال وجهك موجوداً ولا مشبهاً له تصورا
كدت الا تكون شيئاً من الرقة الا بدرأ نراك منيرا

ومن غلمانه أدباء ، واذكياء ، كجواريه ، يبلغون درجة
كتشاف ما في النفوس ، ويجعل قوة غلامه الادراكية متجمعة
في مقلته ، هذه المقلة التي تشغل اهم مركز في حواسه ، واظهر
مكانة في شعره :

ويمتحن الصدور بمقلتيه فينكشف البريء من المريب
أصبني منك يا املي بذنبٍ تتيه على الذنوب به ذنوبي
والله لولا الحيا بمن يفندنا لما نسبتك ذا علم وذا أدب

وربما جعله كالكرة تتلقفه القلوب مختصةً فيه :

تفرد بالجمال بغير مثلٍ وأخلته المذمةُ والعيوبُ
تنازعه القلوب الى هواها فتغتصب القلوب به القلوبُ
فغاصها المحيط بها سروراً ومغصوباً عليه له وجيبُ

واحياناً يقيم من جمال غلامه سوقاً يُنادي فيه على القلوب
لتشتري وقد اشار الى المعنى الآتي غير مرة ، في مدح الأمين

لك وجهٌ محاسنُ الخلق فيه مائلاتٌ تدعو اليه القلوبا

على أنه وفق لتصوير اختلاف المواعيد توفيقاً ملحوظاً بلفظ
موجز سهل :

كأنما انت وان لم تكن تكذب في الموعد كذاب
إن جئت لم تأت وان لم اجيء جئت فهذا منك لي داب

ألمحت قبلاً الى أنّ ابا نواسٍ قويُّ « الاستحضار » للشي
وذلك ضربٌ من التخيل معروف :

يخبرني عن قلبه كتبه أنّ به اعظم مما بي
حتى كأني واجدٌ مسّه أو حسّه من بين اثوابي

وقوله :

إني لأحسد من تمتع سمعه بكلامه

وتفرّدت أجفانه بقعوده وقيامه
أصبحت من حبي له الهو بوجه غلامه

عين ابي نواس :

وكما ذكرنا عنايته بأمر عين المحبوب التي تكتشف المغيب ،
ين ابي نواس كذلك تستشرف الغيوب ، وتخبر بموعد
باب الحبيب :

غاب عن الأعين حتى اذا لم ارج من غيبته أوبا
فاختلجت عيني فأبصرته كأنّ عيني تعلم الغيبا
في لطف العين بالعين زاجر فقد كدت لا يخفى عليّ ضمير
وقد يجعل حركات الأعضاء الظاهرة قائمة على هفّ الضمير ،
ازع القلب :

لم تأت رجلي مكاناً حتى تشايح قلبي

لكنه اسفّ عن بشار في استخدام الريح بقطعته البائبة
مروضة في الديوان ص ٤١٤ ، ثم هو يصوّر لنا وجهاً مترفاً
في وجوه عصره الفارق في الثراء والبذخ ، فيذكر العاج ،
الديباغ ، وماء الورد ، مستأنساً بأسلوب امرئ القيس :

كم ليلة ذات أبراج واروقة
كاليمّ تقذف امواجاً بأمواج

سامرتها برشاً كالغصن يجذبهُ
دعص النقا في بياض العاج وجراج

وسنان في فمه سمطان من بردٍ
عذبٍ وفي خده تفاحتا عاج

كأنما وجهه والشعر ملبسه
بدرٌ تنفّس في ذي ظلمة داج

فظل يسقي بماء الورد من اسف
ورداً ويلطم ديباجاً بديباج

واذا عرفنا من غلمانهِ اشداء فتاكاً في استعمال السلاح
فسلاحُ بعضهم من غير صنف السلاح ، كاللبسم ، واللحظ ، ح
شعر الوجه الذي يشبه الرماح ، ولا شك في ان استحسان شعر
الوجه في الغزل شيء ينبو عنه الطبع ، ولكنه ابو نواس :

كأنما وجهه والكأسُ اذ قربت
من فيه بدرٌ تدلّي فيه مصباحُ

مدججٌ بسلاح الحبِّ مجملهُ
طِرفُ الجمال بسيفِ الطِرفِ طمّاحُ

فالسيف مَضْحَكه ، والقوس حاجبه
والسهمُ عيناه ، والأشعار ارماعُ

يلاحظ في البيت الأول أن التشبيه رائع لم يُسبق الى مثله
 أبو نواس ، فالصورة متخيّلة مركبة من بدر تدلى فيه مصباح ،
 يقابل وجه حبيبه بالبدر وكأسه بالمصباح ، وقد جاء الجناس
 لطيف الوقع في البيت الثاني بين طرف وطوف اي فوس
 وعين . أبو نواس مرهف الذائقة ، يلتفت الى ملاحظة الشيء بسرعة ،
 فقد يتناول اشياء الحياة على اختلاف انواعها ، ثم يشير الى مخالفتها
 طبيعة الأمر ، او الى خروجها ، لذلك فهو يسخر في غزله من
 ولي العهد في خطبه السياسية ، ومن هرج الناس ومرجهم في
 العيد ، ليبقى له جوّه الشعريّ الخاص ، شأن اصحاب المواهب
 لفنّية الكبيرة :

« يا فرحةً جاءت مع العيدِ وفي الذي اهوى بموعدِ
 جاء من الأعين مستخفياً من بعد إخلافٍ وتنكيدِ
 حتى اذا الراح جرت بيننا أمنتُ من خلف وتريدِ
 ظلّ وليّ العهد في خطبةٍ وظلتُ بين الراح والعودِ
 صار مصلاتا أباريقنا ونحرنّا بنت العناقيدِ
 وصار ردف الظبي لي منبراً احسن من عود على عودِ
 للناس عيد عمهم واحدٌ وصار لي عيدان في عيدِ »

في هذه القصيدة اربعة مواقف ، الاول : استخدامه الحمر
 جرياً على عادته في استمالة المحبوب ، لأن الحمر تثير الغرائز ،
 فهي كالفضح للطائر :

الثاني : مقابلة لهوه ومجونه ، بجذوليّ العهد في خطبة العبد

الثالث : هذه السخرية الجارحة من ولي العهد الذي يشبه
عوداً لا يفهم أن يحيا ، على عودٍ الذي هو المنبر .

الرابع : هذا التعدد في فهمه واحساسه بالشيء ، «
نشوتان وللندمان واحدة ، شيء خُصصت به من دونهم وحدي»
وهو هنا له عيدان وللناس عيد واحد ، شيء خُصّ به ايضاً

*

ذكرنا قبلاً أنه يتكلم أحياناً على أسلوب المناطقة
والمتكلمين ، والمحدثين ، والفقهاء ، ويضمّن الحديث والقرآن
في شعره الغزلي ، وهو هنا يستعمل أسلوب الحكمة ، بتعليق
الأشياء والحكم عليها ، بشيء من التفلسف الذي يجتمعا
الشعر بعضه :

« يا تاركي جسدًا بغير فؤادٍ
أسرفت في هجري وفي إبعادي

ان كان يمنعك الزيارةَ عينٌ
فادخل اليّ بعلّة العواد

ان العيون على القلوب اذا جفت
كانت بليتها على الأجساد

اشكو اليك - فديت - اهلك كلهم
ضربوا عليّ الأرض بالأسود »

تروى هذه الأبيات للنظام المعتزلي ، وابن النظام من روح
النواصي الظاهرة في هذا الشعر ، اذ ما له وهذا ؟

على ان الشاهد اصطناع الحكمة في البيت الثاني ، والبيت
الثالث يشير الى مضايقة اهل الغلام للشاعر ، ومنعه من ملاقاته .

*

واذا عرفنا قبلاً نماذج من غلمانه ، فقد بقي نموذج هامّ ،
يفيد التاريخ ، ويشير الى لون المجتمع ، ويلمس الدين بطرف ،
ذلك النموذج من غلمانه المرغوب فيهم راهبٌ من اولئك
الرهبان الذين طفحت بهم الأديرة التي كان النواصي يألف خماراتها ،
فكان الى جانب اعجابه بجمال بعضهم وهم يلبسون الزناور الذي
يشكل الجسد ، ويظهر محاسنه ، كان ايضاً يعجب بحياتهم الصافية
الهادئة ، ويبرّر مسيحتهم :

إني هويت حبيباً لست اذكره	الا تبادر ماء العين ينسكبُ
مزنرٌ يتمشى نحو بيعته	إلهه الابن فيما قال والصُّلْبُ
يا ليتني القس او مطران بيعته	او ليتني عنده الانجيل والكتب
او ليتني كنت قرباناً يقربه	او كأس خمرة او ليتني الحببُ

كثيراً ما يتعاطى شاعرنا لذّته جهراً ، وهو يحبّ « الافتضاح »
والتهتك ، فما سبب ذلك ؟

حبّه للشاذ الممنوع ، ونفرته من جمود التقاليد ، في جوّ
من الحرّية التي عبدها ، وعُرف عصرهُ بحبّها ، فإذا قال الحديث
النبي : « اذا بُليتُم بالمعاصي فاستتروا » معنى ذلك أن لا
يكون مجالٌ لاغراء الغير بالمعصية ، وان تسري امور الدين وفق
رضا الله ، غير أن ابا نواس ينظر الى القضية من كل جوانبها على
انها قضية حياة وحوية :

« ايا من طرفه سحرُ	ومن ريقه خمرُ
تجاسرتُ فكاشفتك	لما غلب الصبرُ
وما احسن في مثلك	ان ينهتك السرُ
لئن عتفني الناسُ	ففي وجهك لي عذرُ »

ابو نواس يدرك أنّ الناس يرمونه بالشذوذ الجنسيّ ، فيعمد
الى تبرير محبته للغلمان بأسلوبه الماجن ، وبراعته الذهنية : من
ذلك ان الله حرّم الزنا بالنساء ، والزنا في الشرع يلزم الحد ،
لذلك فهو يلوط فيخرج من حكم الزنا ، ناسياً بتخايب أن القرآن
لم يهمل الفاحشة التي هي اللواط في عرف المفسّرين ونص عليها
(« النساء » آية ١٦) وهو يردد كثيراً من معاني تبرير الفاحشة ،
اذ أنّ المعروف عن رجال الفن نفرتهم من قيود الزواج والأسرة :

إني امرؤ ابغض النعاج وقد يعجبني من نتاجها الحمل
إن عذب الله بالزنا فأنا لا ناقة لي فيه ولا جمل

لأبليس مكانة محترمة عند أبي نواس إذ أنه يسهل عليه
تسهيل الوصول إلى غلمانته عند التعسر ، فهو ينجده عَجْلاً عند
الحلب ، وإذا تأخر أبليس هدهد بالرجوع إلى الصلاة :

فما مضت بعد ذاك ثالثة حتى اتاني الحبيب يعتذر
فيا لها منة لقد عظمت عندي لأبليس ما لها خطر

طبقة معشوقه : احبة النواصي من جميع الطبقات ، وهذا
ذبح منهم ، أمير خطير يسكن قصر « الخلد » و « الكوثر » ،
صري الخلافة ، فمن هو ؟

أما من الخلد لنا غدوة في قصب من صنع إسكندرا
موكب تحميه خصيانته كما رأيت الملك الأكبر

ولما سأل هذا الأمير الخطير أن يرد قلبه إليه إذ ليس من
بدل سلب الناس قلوبهم اجاب :

فقال من يدعي على شادن
قد ملك الأسود والأحمر

ولكن أبا نواس يريد أن يتابعه ليطلب حقه منه وجهاً لوجه :

بالله هل تعرف لي قصره ؟
فقال لي « الفردوس » و « الكوثر »

وكما يسرف في المادية بتصوير غلامه ، يطير الى السماء يرف
عن آفاق المادة :

تضمّن الروح جسم النور فامتزجا
في عارضٍ فيه ارواحٌ وتأليفٌ
فليس يخطر في الأوهام انّ له
عدلاً وليس له في الحسن موصوف

فماذا يكون هذا الجسد يا ابا نواس ؟ انه خيالٌ نواسيٌ

وقد يجعل المحسوس الذي هو القبله ، الذ من المنى التي ه
معنى ينزع عن الوجدان ، ويتخذ من وجه غلامه بستاناً ، وع
تقطف من ذلك البستان زهراً وثمرأ :

أبصارنا تجني محاسن وجهه ففؤاد كل فتى به مفتون
خالسته قبلاً الذ من المنى قلبي بها حتى المات رهين

واذا وصف القدامى خيولهم بانها « قيد الأوابد » فوج
غلامه مستعبدٌ للأمانى يقيدُها ، ويا ليته سهل القيادة ، فاغر
ما في امره أنه عفّ الضمير ، ولكنّ لحظه زانٍ :

استعبد للأمني حسن منظره عف الضمير ولكن لحظه زان

حتى الأرض ، فهي تمشق غلامه ، فلو استطاعت لا تقبض
حتى تكون لباساً له وحده :

لو تستطيع الأرض لا تقبض حتى يكون جميعه فيها

غير ان التعبير هنا لم يُسَعِف ابا نواس ، فلا يفهم منه المعنى
المقصود ، الذي يلائم ان يكون هكذا : هذا الغلام قائم مقام
الناس كلهم ، فلو استطاعت الأرض لعشقها له ان تتجمع لتكون
على مقداره وحده ، فالانقباض هنا غير واف .

على ان نهاية الأرب للنويري ذكرت له هذه القطعة الخالدة
الراقصة وهي تصلح ان تكون نموذجاً حياً لشعر الغزل كله ،
بموسيقاها ، وحلاوة تعبيرها ، ومعانيها اللطيفة :

« جال ماء الشباب في خديكا

وتللاً البهاء في عارضيك

ورمى طرفك المكحل بالسحر فؤادي

فصار رهنأ لديكا

انا مستهترٌ بمحبك صب

لست اشكو هواك الا اليكا

يا بديع الجمال والحسن والذلّ
حياتي وميتي في يديكا

بابي انت لو دريت بوجددي
لم يلن ما لقيت منك عليكاً

اصبحت للهوى سهام المنايا
قاصدات اليّ من عينيكاً «



غزله في الغلاميات

لأبي نواس هوسٌ بالتنقل من جوٍّ الى جوٍّ ، يتمتّع
بنشاطٍ غريب في ممارسة اللذة ، كأن يومه يستعير من غده ،
على ان مثل أبي نواس يدفع ثمن هذه اللذة ، اوجاعاً وآلاماً متى
وصل الى مرحلةٍ خاصةٍ من العمر ، فمن على هذه الشاكلة لا
يعمر طويلاً ، لأنه استنفد طاقته قبل وقتها :

دبّ في السقام سفلاً وعلوا وأراني اموت عضواً فعضوا
ليس من ساعةٍ مضت بي إلا نقصتني بمرّها بي جزوا
ذهبت جدتي بطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله نضوا

أشرت قبلاً الى انه كان مغرمًا باستيفاء اللذة ، واستقصاء
المتعة ، فهو إذ يجب هذا النوع الموصوف بالغلاميات ، انما ينظر
الى تعدد ابواب اللذة عندهنّ ، فهي تقدم له المرأة والغلام في
نفس الوقت ، وربما كانت الغلاميّة ابرع في حسن الاستمالة
لانوئتها ، وسرعة تأثرها ، وهذا الصنف من الخليعات يظهر في
عهد نضج حضارة ما ، اذ ان الناس لترفهم يحاولون ايجاد متع
جديدة ، أليس في عصرنا الحاضر فتيات يقصرن شعرهن على

طريقة شعر الفتى ، ويلبسن السروال ويشاركن الشبان في اكل
الالعاب الرياضية ؟

مطمومة الشعر في قمصٍ مزرّرة
في زِيٍّ ذي ذكر سياه سياهها

وقد تكون احداهنّ ممعنة في الفسق تحبّ مثله ان تستو
لذتها من جميع جوانبها :

رأت زِيَّ الغلام اتمّ حسناً	وادنى للفسوق ولأثام
فما زالت تصرّف فيه حتى	حكته في الفعال وفي الكلا
ترجّل شعرها وتطيل صدغاً	وتلوي كمّها فعل الغلام
وراحت تستطيل على الجواري	بفضل في الشطارة والغرام
تعاف الدفّ تكريهاً وفتكاً	وتلعب للمجانة بالحمائم
ويدعوها الى الطنبور حذقاً	اذا دارت معتقة المدام
وتغدو للصوالج كل يومٍ	وترمي بالبنادق والسهام



مع معشوق الغلامية

« كانت الشعراء تجتمع كل يومٍ بباب أسماء بنت المهدي ،
يث أعدت لهم مجلساً يتناقلون فيه غرر الأدب ، والشعر ،
الطرف ، وكان أبو نواس ريجانة ذلك الحفل . ففي إحدى
الزيارات الى قصر الاميرة العباسية ، عرضت له جارية غلامية
مكتلة من باب القصر ، عجزاء ، مطبومة ، ناهد ، مقرطقة ،
تشد عجبها لما رآها ، فتعرض لها ومازحها ، وما زال دأبه
عليها على تلك الحال من تليينها بالشعر ، والنكات ، والتوسلات ،
الى ان رآها يوماً وقد خرجت من القصر وعليها قباء منسوج
بالذهب ، وعلى رأسها محبسة ابريسمية منسوجة بالذهب ، وفي
جلبها نعل مغطاة بديباج ، تشد خصرها بمنطقة ذهب مفرقة
في زرياب حرير عريض وقد غابت في خصرها من انهضامه فما
داد بين ، وفي يدها قضيب خيزران تعبت به ، فدهش كل
من رآها على باب الاميرة وبهتوا لروعة جمالها وحسن زينا ،
ال ابن الداية (وهو الذي نقل عنه ابن منظور هذا الخبر) :
الفت اليّ أبو نواس وقال : « مثل هذه يا نخاس فاشتر لا
مثل رقيقك » فقلت له : دعني ، ما رأيت مثلها قط على كثرة
ما مرّ على يديّ من الرقيق ، وما تصلح هذه الا للخليفة . »

ثم اقبلت الجارية وهي تروحُ ونحيء ، ثم وقفت علي
ونظرت الى ابي نواس نظرة دلّ ، على أنّ في قلبها منه شيئاً
فانشأ يقول وهي تسمعه :

« لقد صُبَّحت بالخير عينٌ تصبَّحت
بوجهك يا معشوق في كل شارق

مقرطقةٌ لم يحنّها سحب ذيلها
ولا نازعتها الريح فضل البنائق

ومطمومةٌ لم تتصل بذؤابةٍ
ولم تعتقد بالتاج فوق المفارق

كانَ مخطّ الصدغ فوق خدودها
بقيةٌ انقاسِ باصبع لائق

ندته بماء المسك حتى جرى لها
الى مستقر بين اذنٍ وعاتق

غلامٌ ، والا فالغلام شبيها
وريجان دنيا لذة للمعائق

تجمّع فيها الشكل والزي كله
فليس يوقّي وصفها قول ناطق

فطانة زنديقٍ ولحظة قينةٍ
بعين الذي يهوى ومنية عاشق

وتقطيب سجنِيّ وتكره ساطر
ونظرة جنيّ ولحظ منافق «

فلما فرغ من انشاده ، ضحكت وولت راجعة ، فاذا هي
حسن الناس قدأً وليونة اعطاف ، ثم انصرفنا وقد أخذت
جامع قلوبنا ، وانقضت أيامٌ وابو نواس كسلان لا ينشط
شرب ، واذا بتلك الجارية تدخل فجأةً بغير إذن ، ودون
سابق علم ، قائلةً : « اتقبل الطفيلية ؟ » فوثب إليها وقبل
أناسها وعينها ، ويديها ورجليها ، وقال لها : « اية فرحة احمد
الله عليها لعطفك على عبدك يا سيدتي ؟ ولكن كيف تخلصت ؟ »
فقال له : « خرجت لأداء رسالة ، فكنت أهم الي من نفسي . »
فقدم لها الشراب وباسطها معابثاً قائلاً : « أنا والله التحمل وزر
هذا الشراب عنك يا سيدتي . » الى أن طابت نفسها لما اراده
منها ، وكانت بكرأً فجزعت لذلك وقالت : « والله ما مسني
بشر ، وانما جلبتني بظرفك وحلاوتك وشعرك وما فكرت في
رجل قط . » فما زال بها حتى نالها وقال :

وناهدة الثديين من خدم القصر
سبتني بحسن الجيد والوجه والنحر

غلامية في زيتها برمكية
مزوقة' الاصداع مطبومة الشعر

فما زلت بالأشعار في كل مشهدٍ
أليّنها ، والشعر من عقد السحر
النخ ...



غزله في الغلمان الجوّاري

هذه ظاهرةٌ أخرى من ظواهر الحضارة ، قد لا تختلف عن بقية في الأصل ، إلا بمقدار ما يقتضي التقسيم الدراسي ، من ث أنها تقابل الجوّاري الغلاميات .

نلمح أشكال هؤلاء في كثير من مدن العالم المتمدن في زماننا الحاضر ، وما هو إلا مظهرٌ للخنوثة ، والميوعة ، إن دلّت شيء فانما تدل على الرغبة في تنويع المشتهايات الجنسية . هذا فنفس ، نقل لنا عنه صوراً حيّة شاعرنا النواصي ، إذ هم بحكم لهم الشاذ ، يمثلون « الرجل المرأة » بما فيها من خنوثة ، وليونة :

موحّد في الحسن ، جلّله بردائه ذو الطّول والقدس
سئت قلت خريدةٌ جليّت للشرب يوم صبيحة العرس

الفزل الخمري

أحب أبو نواس في مطلع عمره «جنان» وربما غير ج
من لم تقف على تفصيل امره بخصوص الاشخاص الذين تناو
حبه مفصلاً ، غير أن الجدير بالملاحظة هو أن اخفاقه في
الحب ، تضاف اليه عوامل اخرى ، مالبية ، وعائلية ، وفكر
قاده إلى ما يشبه الاشتزاز ، والقلق ، فاندفع الى الحمرة ،
أن التقاليد الدينية تحرّمها ، وقد يكون هذا التحريم حر
شاعرنا المعن في حب الحرية ، والنفرة من التقاليد ، على
يفرق فيها .

عاش النواصي الحمرة ، فاصبحت حاجة من حاجات نفسه
يستطيع أن يحيا بدونها ، بل انقلب حبه لها الى ما يشبه العباد
يخلع عليها صفات الخالق ، لذلك فقد عشقها وخلع عليها بشك
آخر صفات الأنثى .

كانت الحمرة واسطةً لتذكر المحبوب ، وإثارة الشوق
فاصبحت بذاتها المحبوب نفسه عند أبي نواس ، لذلك تتلا
غالباً خمرياته وغزلياته ، في تداعٍ متواصل ، حتى كأن ممار

رب أصبحت نوعاً من الوصال الجنسي عنده :

فافترعنا مزّة الطعم فيها
نزق البكر ولين العوان

أبن لي كيف صرت الى حريمي
وجفن الليل مكتحل بقار

هي العروس اذا داريت مزجتها
وإن عنت عليها أخت شيطان

جنت على عذراء غير قويّة
شديدة بطش في الزجاج شمس

بابلي صاف ، مؤنثة طوراً وطوراً تهّم بالتذكير

فقلت أدل منها العنان فيأني
لها كف ، صدق ليس من شيمي العسر

فأني خاطب ملّيح اليه ذو وشاح مؤزّر بإزار
نقد المهر ثم زفت اليه في سراويلها وفي الزنار

ولايضاح ذلك ، علينا أن نستحضر أبا نواس وهو يتشع
تبل مع زمرة من عصابته ليدق باب حانة ليهودية ، أو
سراوية ، أو مجوسية ، ثم ننظر كيف تهب من نومها مذعورة ،

او توقظ ذويها ليروا من القادم ، لعله من الشرطة ، فبدأ
 احدهم كوةً يطل منها بعد أن يمسح عينيه مراراً ويحديق
 الزمرة التي يقودها ابو نواس فيهش لهم ويدش بعد أن تهم
 نفسه ، ويفتح لهم مرجباً مستبشراً ، ثم يبدأون يستعرض
 اصناف الحمرة ، ويجعلون الكلام الفصل لأبي نواس في نوع
 فيصنّون على صنف منها ، وعندما يفتح الخانوتي احدى الزجاج
 يخرجون جميعهم سجّداً لعبقتها :

« فلم نستطع دون السجود لها صبرا »

إثنِ على الحمرة بالآثام وسمّها احسن اسماها

ثم يبدأ احدهم الحديث عنها ، شعراً او نثراً ، ويُعد
 نواس استاذهم في الطريقة الشعرية الحمزية ، ومرجعاً هاماً
 مراجع اوصافها ومعانيها .



الخمرة النواسية

يبدأ عادة بوصف طريقه الى الخمار ، وامتحانه السبل اليها
حتى يصل :

« وخمارٍ انخت عليه ليلا »
« ما زلت امتحن الدساكر دونه »

ثمَّ يعرض الى وصف ذلك الخمار ، او الخمار ، ويدقق
تحليل نفسه ، وشكل نظراته ، وسجنته ، ثم يتحدث عن
كسته ، وانتقائه صنفاً دون آخر ، غير ناسٍ ان يصف اوعية
لحفظ لتلك الخمرة ، ويجعلها كالفتاة التي يتقدم خطاؤها من اهلها ،
كالعروس مع زوجها .

هذا هو القسم الاول من الخمرة عادةً ، يتبعه القسم المهم
دراستنا للغزل وهو ما يتعلق بالسَّاقِي او الساقية :

من كفّ ذي غنجٍ .
يسعى بها أهيف .
يديرها مرهفٌ .
يسقيكها ظبيٌ .

الى آخر ما هنالك من اوصاف هؤلاء السقاة وما يجري
معهم من الفواحش ، كل ذلك باسلوب خاص مطبوع
القصة ، وهو اذ يشرب من الكأس خمرة ، يشرب
أخرى من العيين والريق ، ولكل نديم نشوة واحدة ،
نشوتان « شيء خصصت به من دونهم وحدي » .

وقد يبدأ بالغزل ، ثم يثني بوصف الخمرة ، والتغزل بها
وقل ان وجدت خمرة الا وهي مقرونة بالغزل ، وقد تجاوز
خمرياته الغزلية في ديوانه الستين قصيدة ، ما بين طويلة
ومتوسطة ، وقصيرة .

على ان الغالب فيها تقديم الخمرة ، والتثنية بالساق ،
الساقية ، باثنا هنا وهناك آراءه ومذاهبه في الحياة ، وما وراء
الطبيعة ، وفي المجتمع ، وقليلاً نادراً في السياسة ، والحرب
والصداقة ، والاخلاق ، والعلم ، والزواج ، واللهو ، والطرب
والطبيعة من اشجار ، ورياحين ، وانهار ، وشمس ، وقمر
ونجوم ، وكؤوس ، وخمارة ، وخمار ، مضمناً تلك القصائد
بعض الابيات الشعرية المشهورة لغيره من الشعراء ، تضيئاً موقفاً
ينسجم مع جو القصيدة الموسيقي ، والفكري ، وقد يكون
الدافع الى تضيئه العبث والسخرية ، والاستمرار الموسيقي
للوزن والقافية .

ولا يبدأ بالطبيعة ، من ازهار ، وربيع ، في خمريته الا

يأثم يدعو ندماءه الى المعاقرة في هذا الجو الصالح .

القصيدة الحميرية ، يتغلب فيها ذكر الحمرة على ذكر الغلام ،
الجارية ، وقليلاً ما يتجاوز عدد الابيات في الحب ، عدد
يات في الحمير .

خمريات النواصي الغزلة ، من اقوى مظاهر فنه الشعري ،
مخصوصة في هذا الجو ، عارية من التوسل للمحبوب ،
الحجر ، والشكوى ، بعيدة عن تلك الكلفة التي يقتضيها المدح
الطرد والهجاء ؛ إنها الشعر الذي عاشه بعمق واستيفاء . من
أخرى يمكننا بها من تصوّر هوى معاصريه ، حتى كأننا
نهم ، ونشعر بلهائهم يلفح وجوهنا ، فاذا نسي التاريخ ، وهفا
قد ، واهمل الراوي ، فهذا الشعر وحده تعبير تام عن وجود
لك الناس ، ينقل في الحروف قطعاً من قلوبهم نابضة ،
لذات من ارواحهم خافقة ، فاذا الشعر أهم اداة للصدق ،
الحضارة والحياة .

نموذج من خمرياته بداه بالغزل

غزل

يا ساحر الطرف ، انت الدهر وسمان
سرّ القلوب لدى عينيك إعلان

إذا امتحنت بطرف العين مكتماً
ناداك من طرفه بالسر تبيان

تبدو السرائر ان عينك رنقتا
كأنما لك في الاوهام سلطان

ما لي وما لك قد جزأتني شيعاً
وانت بما كساني الدهر عريان

اراك تعمل في قلبي بلا ترة
كأن قتلتي عند الله قربان

خمير

غادر المدام وان كانت محرمة
صهبا تبني حباباً كلما مزجت
كانت على عهد نوح في سفينته
فلم تزل تعجم الدنيا وتعجمها
ببلدة لم تصل كلب بها طنباً
الى خباء ولا عبس وذيب
فللكبائر عند الله غفر
كأنه لؤلؤ يتلوه عقب
من حر شحتها والارض طول
حتى تحيرها للخب دهر
الى خباء ولا عبس وذيب

شعوبية

ليست لذهل ولا شيبانها وطناً
ارض تبني بها كسرى دساكره
لكنها لبني الاحرار اوط
فما بها من بني الرعاء وإنس

ن بها جلتارُ قد تفرّعه آسٌ وكلله وردٌ وسوسانُ
ليلة طلعت بالسعد انجمها فبات يفتك بالسكران سكران

جمعت هذه القصيدة ، على عذوبة موسيقاها ، ونبل معانيها ،
سجام الفاظها في التراكيب ، جمالاً من شتى الوجوه ،
طلع رائعٌ مثير ، والاسترسال في الغزل بديع ، يخلصُ منه
الحمرة ، ملمحاً الى انّ الذنب فيها مغفور عند الله ، وهنا
ير الى تخرج المعتزلة بخصوص مرتكب الكبيرة بطريق غير
باشرة ، ويعلم رأي الموجئة بصراحة ونعم ، ثم يسترسل في
صف الحمرة ، منفلاً من جوّها الى شعوبيته ، بل الى تلك
السانية التي لا تفضل جنساً على جنس الا بما يمتاز به من
خسارة ، وفهم الحياة ، فهم « بنو الأحوار » هؤلاء الذين
كسرى منهم ، حيث نبت ارضهم عن جفاف الصحراء الى
خضرتها بالزهر المختلف الالوان .

واخيراً يشير الى تلك الليلة المأجنة المعوبدة ، الداعرة اذ
سكّران الى سكّران ... وقد يسلك طريق القصة في
مض معانيه الحمرة ، والوثب الى تفصيل مواقعه الغرامية مع
حاربه الغلامية التي تصلح للأمرين ... بأسلوب حيّ انيق بديع .

أمّا في النموذج الآتي ، فقد بدأ بالحمرة ، واللذة على مختلف
انها ، مبدئاً مذهبه في الحياة « منهتك الستر » واللذة تجمع
مر والحب والشباب :

« غدوت على اللذات منهتك الستر
وأفضت بنات السر مني الى الجهر »

وهان عليّ الناس فيما اريده
بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر

رضيت من الدنيا بكأسٍ وشادنٍ
تحيّر في تفضيله فطن الفكر

مدامّ ، ربت في حجر نوح يديرها
عليّ ثقل الردف مضطر الحصر

صحيحٌ مريض الجفن مدنٍ مباعدهُ
يمت ويحيي بالوصال وبالهجّر »

وكما تفتح الحمرة له باب الغزل ، او يفتح له الغزل باب
الحمرة ، كذلك الطبيعة تغمر بجوانبها الشديّة روحه ، فيخف
كأسه وغوامه كالطفل المنهر على حضن أمّه :

« طاب الزمان واورق الاشجارُ
ومضى الشتاء وقد أتى آذارُ »

وكسا الربيعُ الأرضَ من انواره
وشبّا تحار لحسنه الأبصارُ

فانفِ الوقار عن المجون بقهوة
حمراء خالط لونها اقمارُ

واستنصف الأيتام من أحداثها
فلطالما لعبت بك الأقدار

من كفّ ذي غنجٍ كأنّ جبينه
قمرٌ وسائر وجهه دينارُ

يسقيك كأساً من عصير جفونه
وتدورُ أخرى من يديه عقارُ

كرخيّةً ، كالروح دب بشرها
حلمٌ يداخله حياً ، ووقارُ

في فتيةٍ فطموا الحيا فلباسهم
حلمٌ وليس لجلهم آثارُ «

استهل النواصي هذه القصيدة بانفتاحٍ مستبشر على الربيع
وظلاله ، وعبيره ، غير واجدٍ شيئاً يتقرب به الى الجمال المطلق ،
في هيكله القدسيّ ، الربيع ، غير الحمرة ، فيها صلاة روحه
المستفيقة ، بهذا يكون قد انتصف من الأيام التي هزّته
بنوائبها ، واحداثها .

ثم لا ينسى الساقى الذي يلزم الحمرة في شعر النواصيّ

اللاهي، فهي مراسم تعبّدية ، رسم لها طقسها ، فهي ليست وقفاً على نتاج الكرمة فحسب ، بل مزيج منها ، ومن عيني ذلك الساقى المشعّتين ، وهذه الحمرة كرخيّة ، عتيقة ، ليست تناله ايدي الكثيرين من الناس .

ومن اقوى تعابيره الرائعة ، تشبيها « بالروح » اذ لا تترك مجالاً للعريضة ، والخروج على الطيبة الخلقية ، فشرابها حيث الطباع وقورون ، اليسوا في جوّ خشوعٍ وعبادةٍ ؟ لكن حياء « فتيته » حياء عنيد شذّ عن مألوف الأوضاع البالية والتقاليد المانعة من أن يعيش الناس حياتهم ، ولكن أصحّ وضع مكان كلمة الحياء في البيت الأخير احوار لكأن المعنى اوضح .

هؤلاء ، ليسوا من اولئك الاجلاف الغلاظ سكان الصحر الأعراب ، بل هم حلما متحضّرون انيسون ، فالربيع ، والظموة والساقى ، والندامى ، والايام ، والنبيل ، اجواء هذه القصيدة المترفة ، المتعددة الخصائص والألوان .

وهذا نموذج آخر بدأه بذكر الحمر :

خمرة

« بكر صبوحك بابنة الكرم بمدامةٍ تعدي على الغم منفيةُ الأقداء صفقها كره اللبالي البيض والسُّح

زال يجلوها تقادُمها حتى اغتدت روحاً بلا جسم
كأنما اجفان شاربها مطروفة بتلاؤ النجم

غزل

لعمري اليك بها اخو هيف عذب الشائل طيب اللثم
ووجنة خجلى موردة وقف على التقيل والشم

ما اطيب هذه الحمرة التي تنفي الهموم ، لصفائها ، وقدمها ،
كأن شاربها يحمل عينين مترجرتين كالزئبق ، يديرها غلام
لذب أهيف ، ووجنته الموردة موقوفة على الشم والقبلات .

وقد يزيد تقديس الحمرة ، فيقدمها غير واحد من السقا ،
لذا أخ واخته يديرانها على النواصي وعصابتها ، ثم هم لا يشربونها
لث عشر ، لأن الكرم يكون حديث عهد بفراقها ، بل
يدها شمطاء من بنات كسرى ، يسبح شرابها بحمدها خشعاً ،
ثم لشربها يتمتمون كأنهم عرب عجم .

وما اطيب هذه المقاربة اللفظية بين الاخ واخته الساقين ،
و « معن » وهي « نعم » :

ولا تسقياني بنت عشر فانها
كما عصرت لم ينس فرقتها الكرم

ولكن عجوزاً بنت كسرى قديمة
معتقة قد دبّ في طيّها الحلمُ

إذا ذاقها شرّابها يجلّوا لها
بالسهم شكرًا فهم عربٌ عجمُ

يدورُ بها دعجاء روذٌ وادعجُ
اخٌ واخته في القوم، واسمها اسمُ

يقال له «معنٌ» فإمّا نكسته
لتدعو اخته فمكوسه «نعمُ»



الغزل التقليدي

تحتوي قصائد أبي نواس المدحية والهجائية على غزلٍ تَهَلَّلَها به ، اذ أنَّ استهلال القصائد بالغزل ، على اختلاف موضوعاتها ، وأغراضها ، تقليدٌ سار عليه العرب في جميع مورهم الأدبيَّة ، لأنه مفتاح القريحة على زعمهم ، كما فعل جرير قصيدته المسماة بالدامغة ، والتي مطلعها :

« أقلي اللوم عاذل والعتابا »

يظهر في هذا الصنف من غزله ، ميله الى الغريب أحيانا ، ذلك الا لأنَّ جوَّ القصيدة متكلَّفٌ يحمله على التكلَّف بناء الشعري .

بدأ مدحته للعباس المنصوري بسبعة ابيات غزليَّة ، ثم وصف صحراء بيتٍ واحد ، والناقة ببيت آخر ، ومدحه بأربعة ابياتٍ فقط .

وبما يُدهش ، أنه مدح الفضل بن الربيع بقصيدةٍ استهلَّها لاميةٍ فاضحة ، الشيء الذي يشير الى تسامح الناس في كل ذلك :

« يا ربيعُ شغلَكَ ، إني عنك في شغل
لا ناقتي فيك لو تدري ولا جملي

عليّ أذنٌ وعينٌ من مذكرةٍ
موصولةٍ بهوى اللوطي والغزل

كلاهما نحوها سامٍ بهتته ،
على اختلافهما في موضع العمل »

ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة أبياتٍ في المدح .

وقد تريد أبياته الغزلة على أبياته المادحة ، مما يُعبّر
اضطراره الى المدح ، الذي لا يعبر عن حياته وشخصه تماماً
ومدحته في « العباس بن الفضل الربيعي » التي مطلعها :

« أما وصدود مخمور » من هذا الصنف ، حيث تغز
بخمسة أبيات ومدحه بثلاثة .

كذلك مدحته في « موسى بن الفضل الوصيف » فقد مهد
بعشرة أبيات غزلة ، وذكر المدح في ستة ، ومطلعها « طا
الهوى لعبيده » .

على أنّ ابداع مطالعه في الغزل التقليدي قوله في مدح
للحسين النيبختي :

« يا قمر الليل اذا اظلما
هل ينقص التسليم من سلّما ؟

قد كنتَ ذا وصلٍ فمن ذا الذي
علمك الهجران ؟ لا علّما

إن كنتَ لي بين الورى ظالماً
رضيتُ أن تبقى وان تظلما »

*

على كل حال ، لم يعدم أبو نواس شخصيته في غزله التقليديّ
، بل هي تشير الى قائلها بوضوح وتحديد .

ومن اجود غزله التقليدي ، ما جاء في قصيدة هجائية حمل
لى الأعراب وبرّر فيها حبه للقلمان :

« كأنّ ثيابه اطلعن من ازواره قمرا
بوجهٍ سابريٍّ لو تصوّب ماؤه قطرا
يزيدك وجهه حسناً اذا ما زدته نظرا »

خصائص الغزل عند ابي نواس

محصول ما عرضت من شعره ، وفنه البارع ، يعطينا
هذه الخصائص :

١ دقة الملاحظة :

من ابرز خصائصه دقة الملاحظة في عرض صور الاشياء
وحالاتها ، فهو محلّلٌ نفسيّ بارع ، للغلام والجارية والحمّة
والحمّارة ، معتمداً على قوة التمثيل التي تجعله استاذاً
الرومي ، إلى خيالٍ لطيف مُستوفي ، يربطه بوقائع الأشياء

٢ الاحساس المركب :

يكاد يبلغ درجة الادهاش بتنوّع احساسه ، وتعدد جوانب
فهو لشدة تعلقه بمن يهوى « يأكل بسبعة امعاء لو ظفر به
» ويشرب ماء العناقيد في ظل العناقيد « ويعاقر الحمرة بك
حواسه ، فمه ، وعينه ، وانفه ، ويده ، ثم يريد ان يسمع اسر
باذنه « وقل لي هي الحمرة » ، ثم هو يريد من جاريته
تكون غلامية « تصلح للوطي والزاني » ومن غلامه أن يكون
مخنثاً « كأنه عند رأي العين عذراء » .

وهو مع اعتباره ظرف المعشوقة وادبها ووفاءها او هجرانها،
 كتفي بها وهي في حال واحدةٍ مخصوصةٍ، بل يريدنا نموذجاً
 ورّاً من كل اجناس البشر، وجميع صفات جسد الانثى،
 ورّاً لنا هذا الاحساس الحصب الغريب بماديّةٍ مستوفاةٍ تضعه
 جانب المثاليين بالرخام الذين لا يتفوّقون عليه بالتعبير
 طاة اعضاء المرأة، اكثر مما عبر بالكلام عن خصائصها الجسديّة:

بصرت من حيني روميّه	تقصر عنها كل امنيّه
ريّة الظرف، وشاميّة الخلوة	في نكهة زنجيّه
بدية الساقين، تركيّة الساعد	في قدّ طخاريّه
بدية الحاجب، نوبيّة الفخذين	في زهو عباديّه
ريّة الحسن، كنانيّة الأرداف	في لبّة عاجيّه

٣ قيمة حاسة البصر في شعوره :

العينُ اكثر اعضاء الحواس أثراً في غزل ابي نواس، فهو
 «يدمن النظر في وجه الجميل، فيرى تجدد حسنه في كل لمحة :

يزيدك وجهه حسناً اذا ما زدته نظرا
 الحسن في كل شيء منها معادّ مردّد

وتارة يخفض بصره الى الأرض خوفاً من ان ينقل الفتنة
 لقلبه :

منحت طرفي الأرض خوفاً لأن أجعل طرفي عرضةً لل
اذ كنتُ لا انظر من حيث لا أنظر الا نحو وجهه
يزرع قلبي في الهوى ثم لا يحصل في كفتي غير الحزن

هو كالفراسة لا تعيش الا على الزهر ، وزهو الأشعة ،
أنّ نهايته تتقق ونهاية الفراسة التي تفتى وهي تنغمس محتلجة
شعاع السراج ، والأبدع من ذلك هذه الصلة القويّة بينه و
الحسن فعينه لا تقع الا على جميل كأنها تعاقدت معه ، حتى
نظر دون قصد ، فقد جعل للجمال وجوداً عاقلاً ، ولعينه صوت
الوفاء لذلك الجمال .

كذلك فهو يتأمل عين الرسول الآتي من عند الحبيب
فيشاهده في عين الرسول كما مرّ معنا ، وقد تحسد اعضاؤه
لتفرداها بروية الحبيب :

فديتك لم انلك بغير طرفي فكلي حاسدٌ طرفي عليك
وقد ينحي على هذه العين باللائمة :

انت يا عينُ كنت لي للصّابات سلماً
وهو يعشق العيون المريضة كالأقدمات :

مريضةٌ جفن العين غير مريضةٍ متى يرها صاحٍ تدعه متيماً
وقد تتحكم عين الظبي في آجال الناس :

وطني تقسم الآجال بين الناس عيناه
واحياناً تكون هذه العين قدرية تشارك في جدال الفرق
ذهبية :

فإن عاتبته فيه أحالني على القدر
وزيادة على ذلك فهي تعلم الغيب :
فاختلجت عيني فأبصرته كأن عيني تعلم الغيب
كما أن عين غلامه تعلم ما في النيات ، فهي من البارعات في
تحليل البسيكولوجي :

ليتمحن الصدور بمقلتيه فيكشف البريء من المريب
وتارة تكون العين مصيدةً يختبئ فيها هاروت السحر :
وقاعدته هاروت في طرفه يغتصب المقبل والمدبر
وقد تشبه الخنجر من حيث الجرح :
واذا اقبل كادت أعينه نحوه تجرح فيه بالحدق
واحياناً ينسب الزنا الى طرفه :

عف الضمير ولكن لحظه زان

وقد يرمز بالعين الى الجارية من باب تسمية الكل باسم الجزء :
عليّ عينٌ واذنٌ من مذكرة الخ ...

والعيون لهجات خاصة في الافصح والتعبير :
مررتُ به فكلمني بطرفٍ يُخيّل فيه شيطان مريدُ
وهاك صورة حيّة لعين الحمار المرتابة :

فأدبر كالزورّ يقسم طرفه لأرجلنا شطراً وأوجهنّا شطراً
واما الساقية فهي تستخرج بنظرها كوا من النفس :

من كفّ ساقيةٍ يستلّ ناظرها لدقة الفهم ما اوحى به الواحد
وقد تُجمل العينُ خصائص صاحبها الخلقية والدينية :

فطانةٌ زنديقٍ ولحظةٌ قينةٍ بعين الذي يهوى ومنية عاشقٍ
وقد تكون مستبدةً طاغية :

تبدو السرائر إن عيناك رنّقتا كأنما لك في الاوهام سلطان
وتارة تكون رحيمةً بقلوب الناس :

وهو عفّ الجفون في النظر العمد حذاراً على فؤاد النديم
وكما احلّ هاروت في عين الحبيب أحلّ مكانه مرة اخرى عقرباً :

يا من له في عينه عقربٌ فكل من مرّ بها تضربُ

ثم يرفعها الى اعلى المراتب في نظره :

كانت الحمر للألباب سالبةً فان عينك تجري في مجاريها

واخيراً لغتها لغةٌ مقدسة تسجد لها سائر اللغات :

ذي لغة تسجد اللغات لها ...

٤ شاعر المهجران :

يعتبر ابو نواس شاعر المهجران، فهو كثير الشكوى في غزله
صلامي والنسائي، ويرجع ذلك في الغالب الى نفسيته التي ترغب
سرعة الوصول الى المحبوب ، والحب درب مخوف بالشوك،
الصبر ، والألم ، لذلك شكوا وبكى .

٥ استاذ مدرسة للحب :

ابو نواس استاذ مدرسة للحب بأنواعه المختلفة من حادٍ ،
معتدل ، وشاذ ، وشهوي ، واستلطافي ، وعاش هذه الانواع
قله ، وقلبه ، وجسده ، فخلق آفاقاً تامة الالوان لعبادة
الجمال ، عبادة الفنان لذاته ، ولموضوعه ، متخذاً لذلك عدة
ساليب ، أشاع فيها ظرفه ، ومجونه ، وصدقه ، وحريره ،
كان ترجمان القلب البشري بحق ، ولن يضيره تلك المسحة

المادية في غزله ، والتجسس الشهويّ ، فأَيّ فن من الفنون
 منذ عهد اليونان اساتذة العالم الى العذريين والصوفيين ، لم تترك
 نقطة الاساس فيه هوىً واحساساً بالجسد ؟ من تلك الأساليب
 النواسية الترسّل الغرامي ، والقصة كعمر المخزومي ، محاضرات
 احياناً الشعراء الفرسان ، وحياناً العذريين كالمجنون ، وعرب
 الا أنّ حب النواصيّ سريع التعلق ، سريع التقلّب كالضيف

٦ حيويته بغزله الغلامي والنسائي :

كاد الناقدون يجمعون على ان غزله الغلامي يمور بعاطفة اصيلة
 من غزله النسائي ، الا فيما يتعلق « بجنان » ، والحق انه لم يترك
 حيويته في القسمين فهو دائماً مشبوب العاطفة ، ناشط الاشواق
 بشكل عجيب كأن يومه يأخذ من غده ، لذلك لم يعيش طويلاً

٧ الترسّل الغرامي :

رسائل ابي نواس الغرامية ، اما للتذكير بوعده ، او للعتا
 على هجران او صد ، أو للموافاة ، وهو يتخذ صفة المعلم في الخمر
 والحمريات وآدابهما ، فكما يوجّه الشارب في طريقة الشرب :
 الطعام ، ولدى المنادمة ، ويحدّد عدد المنادمين ، ويصف كيف
 يتحدثون ، ويتناقلون ، وما يُستملح وما يستكره هذا الحضور
 كذلك يرسم لنا كيف يخاطب المحبوب بتعطّف وتذلّل
 وكيف يُستدرج ان كان عصياً بالحرمة ، وطريقة المفاتحة

والاسترضاء ، والاعتذار ، والاستعادة .

ورسائله الغرامية على انواع ، منها ما كان مشافهةً ، ومنها كان كتابةً ، ومنها ما كان بإشاعة أبيات تبلغ المحبوب بشتى طرق ، واحياناً تكون الرسالة بالإشارة ، فالعين وحركات وجهه ، واليد ، رسل امناء عند ابي نواس .

الرسائل النسائية :

أتاني عنك سبك لي ، فسبّي
اليس جرى بفيك اسمي ؟ فحسبي

وقولي ما بدا لك ان تقولي
فما ذا كلّه الا لحبّي

هذان البيتان من رسالة الى « جنان » وقد ملّت ملاحظته
ياها ، نسبها الصولي في اوراقه خطأ الى عليّة بنت المهدي :

« ارسل من اهوى رسولاً له الى والمنسوب محبوب
فقلت اهلاً بك من مرسل ومن حبيب زانه الطيب
جمشته في كلمة فائتي وقال هذا منك تجريب
مثلك لا يعشق مثلي وقد هام به بيضاء رعبوب
وجاءت الرسل بأن آتنا فجتها والقلب مرعوب
قالت تعشقت رسولتي لقد بدت لنا منك الاعاجيب »

من يأمن الذئب على معزةٍ اهلٍ لأن يخفّره الذئب
فقلت في رفقٍ وفي تودةٍ مقالةً قد قال يعقوبُ
الذئب لا يؤمن لكنه عليه في يوسف مكذوبُ

هذه قصةُ رسالةٍ ، تقع حوادثها متكررة بينه وبين
يهوى ، وهي سهلة اللفظ ، واضحة المعنى ، أشبه ما تكون بالحديث
المتداول ، ومن أطف ما فيها دفاعه عن نفسه منكرًا الواقع
واستناده الى القصص القرآني في القسم الاخير ، اذ عرض الى
قصة يوسف النبي ، ومن رسائله الشفوية قوله :

« قل له ذق ، لو علمتَ بأمرِي لم تبدل قطيعةً بتصاب
وقد تصل الرسالة فلا ترد الحبيبة جواباً ، فيكتفي بتأميل
أن تكون هي نفسها الجواب :

رسولي قال اوصلت الكتابا ولكن ليس يعطون الجوابا
فقلت أليس قد قرأوا كتابي فقال بلى ، فقلت الآن طابا
فأرجو ان يكونوا هم جوابي بلا شك اذا قرأوا الكتابا
اجد لك المنى يا قلب كي لا تموت على غماء واكتئابا

في هذه القطعة روح ابي نواس السمحة ، ولكنها كسالفها
تجنح الى الركة العامية ، كما أشار الى ذلك بروكلمن آنفاً ، فالركة
ظاهرة في استعمال قرأوا ، يكونوا ، بصيغة الجمع مع ان

المخاطب مفرد ، وحذف فاعل « طابا » وتقديره « قلبي » وفي
« ص » « اكتئابا » بدلاً من جرهما . وقال يستبطن انجاز الوعد ،
يتعجل الموافاة :

جفن عيني كاد يسقط من طول ما اختلج
خبريني فدتك نفسي متى الفرج
كان ميعادنا خروج زيادٍ وقد خرج

وقد تكون المراسلة على فصوص الخواتم :

كتبت على فصٍّ لحائهما من ملٍّ محبوباً فلا رقدا
فكتبت في فص ليبلغها من نام لم يعقل كمن سهدا
فمحته واكتتبت ليلبغني لا نام من يهوى ولا هجدا
فمحوته ثم اكتتبت : « انا والله اول ميت كمداء »
فمحته واكتتبت تعارضني والله لا كلمته ابدا

وقد يشير الى خاصة عربية قبلية في استكناه الغيب من
حيث زجر الطير ، مبيناً لهفة الرسول ، قارئاً حقيقة الجواب في
وجه الرسول :

زجرت كتابكم لما أتاني بزجر سوابح الطير الجواري
نظرت اليه مشدوداً بزير وفي ظهر ، ومختوماً بقار
فقلت الظهر احور قرطقي يشبه شكله شكل الجواري

وقلت الزير ملهاة لملنه وطن الحتم من زق العقلا
فبجئت اليكم طرباً مشوقاً فما اخطأت داركم بدا
فكيف ترون زجري واعتيا في الست من الفلاسفة الكبار

من أطيب معاني هذه القصيدة تداعي المعنى بين طين الحتم
وطين زق الحمرة ، ثم اهتداؤه الى دار المحبوب دون دليل
ثم تلك الدعوى الطريفة انه من الفلاسفة الكبار ، كذلك اشارته
الى شيء من التقاليد والتاريخ من كون الغلام « مقرطقاً »

وهو يجب المحو في الكتاب ، فإذا كان من قبله ، فهو اثر
من آثار الدموع ، وإذا كان من قبلها ، فهو إشارة الى الخطأ
هذا الخطأ محبوب لديه لأنها تمحوه بلسانها ، فيلحسه بعدها بلسان
فكأنه يقبلها من بعيد :

غضبت لمحو في الكتاب كثير
قالت اراد خيانتني وغروري

كتب الكتاب على خلاف ضميره
فالمحو فيه لكثرة التغير

الى ان يقول مبنياً لها السبب الحقيقي في المحو :
فالمحو من قبل الدموع وانما تجري دموع العاشق المهجور
ثم يخاطبها بقوله :

كثري السهو في الكتاب ومحّيه بريق اللسان لا بالبنان
 انني كلما مررت بسطري فيه محو لقطعه بلساني
 وكلما قدما آتفاً انه يراها في عين الرسول :
 كلما جاءني الرسول لها ردّدتُ شوقاً في طرفه نظري
 واحياناً ترد الحبيبة ردّاً قاسياً فيقرأ ذلك في وجه الرسول :
 ولو ردت جنان رد خير تبين ذاك في وجه الرسول
 وقد يلزمها الحجة بمخالفتها القرآن اذا رفضت رد الجواب
 انه يسأل الجواب كالسائل :
 يا ناهر المسكين عند سؤاله الله عاتب في انتهار السائل
 وبعثت اليه جارية من جوارى المهلب وصيفتها فجمّسها
 كتبت اليه تلومه ، فأجابها :
 نعم الرسول بأنني جمّسته كذب الرسول وقالق الاصباح
 تغلي بجبك يا مليحة ، ليس لي قلبان مشغول وآخر صاح
 واخيراً ، فهو لا يترك الرسول دون أن يصفه ، من حيث
 لذكاء ، والنشاط ، والتستّر ، ومن حيث جماله :
 « طرف الحديث كأن منطقه لولا خلافة عينه غسل

من عليه عباءة وترى افعاله كالنار تشتت
لا يحفلون به اذا خرجوا بالابتدال ولا اذا دخلوا
وترى اذا عقدت عزمته غير اسمه في القوم ينتم
بأبي وامي ذاك كيف بدا صلى عليه الله والرسول

الرسائل الغلامية :

واما رسائله الغلامية ، فهي اقل عدداً وتنوعاً من رسائل
النسائية ، نظراً الى سهولة مقابلة الغلمان ، والى تحجب النساء
وصعوبة مفاصلهنّ بالحب في غالب الأحيان ، وهذا غلام يسر
كما سبّته « جنان » قبلاً ، ولكنه يتماجن عليه ويعابه معاً
ظريفة :

يا كاتباً كتب الكتاب يسبني من ذا يطيق براعة الكتاب
لم ترض بالاءعجام حين كتبته حتى شككت عليه بالاعراب
أحسبت سوء الفهم حين فعلت ذا اولم تثق بي في قراءة كتاب
لو كنت قطعت الحروف فهمتها من غير وصلكن بالأسباب

وربما جفاه وتناساه غلامه :

جفاني وتناساني بعيد الرسل والكتب
ومن غاب عن العين فقد غاب عن القلب

وهو كما نرى عشق سطحي ، لم ينفذ الى شغاف القلب .

مرةً يكون اختلاج عينه رسولاً ينبيء بقرب المحبوب :

فاختلجت عيني فأبصرته كأن عيني تعلم الغيبا

ومرةً تكون الريح الشمالية رسولاً بينهما :

حب الشمال اذا أقبلت لأن قيل مرت بدار الحبيب

ماء قليل ، وحزنٌ طويل تلقى الرياحُ بما في القلوب

موسيقية أبي نواس :

غير خاف أن الغناء رفيق الوجدان البشري منذ بدء

الخليقة ، وأن الشعر العربي غني بعناصره الوجدانية ، واصلح

ما يكون للغناء ، لذلك ازدهر هذا الفن في الحجاز أيام بني

أمية ، وعرفنا كيف كان الناس يقبلون على السماع إقبالهم على

العبادة ، واخبار سلامة ، وجميلة ، والميلاء ، والغريض ،

ومعبد ، وابن سريج ، وابن عائشة ، مشهورة طفع بها كتاب

الأغاني ، وكان لهم اكبر الأثر في شعر المخزومي ، والعرجي ،

والأحوص ، ما ذلك الا بسبب الرقيق ، والجواري ، اللواتي

شعن جوّاً من الترف والمجون لم يكن للعرب علم به قبلاً ،

اذ كان هؤلاء الجواري من الموالي او من تلاميذهم . ولما تقدم

الزمن بالناس الى العصر العباسي ، وانتشرت التراجم ، وضعوا

لهذا الفن قواعد واصولاً ، شأنهم في شتى العلوم والفنون ،

فكان من جرّاء ذلك معلمون لهذا الفن ، لم تقل مرتبتهم

في قصور الخلفاء عن مرتبة الحجاب والوزراء ، حتى انّ الخلفاء
 عنوا بهذا الفنّ وشهر من بينهم « ابراهيم ابن الخليل
 المهدي ، واخته عليّة بنت المهدي ». ومن اشهر مغني هذا العصر
 الموصليان في الشرق وتلميذهما زرباب في الأندلس ، الذي
 تحكم في الأذواق والتقاليد كمرّبٍ للحاسّة الاجتماعية ، شد
 المغنين الآخرين في بغداد ، قال بروكلمن : « وقد قدّر للمغني
 اللواتي لعبن دوراً عظيم الأهمية ، في حياة بغداد الاجتماعية
 أن ينهضن بالنصيب الأوفى من خدمة الغزل الجديد ، ونشره
 الناس ، شأنهن من قبل على عهد الأمويين في مكة والمدينة »
 ومن حسن حظ النواصي أنّه كان ضارب عودٍ مجيداً
 صديقاً لاعلام هذا الفن الموسيقيّ في عصره ، واحد كواكب
 الحفلات اللاهية في قصر الرشيد ، والأمين ، والحصيب ،
 كثيراً ما كان يجمع في شعره الغزلي ذكر اللهو ، ومن اللهو
 الغناء ، فالموسيقى اختُ الحمرة في إثارة الذكريات ، وإيقاع
 الحواس ، وتنبيه الغرائز :

فاستنطق العود قد طال السكوتُ به

لا ينطق اللهو حتى ينطق العودُ

اللهو شاملٌ لكل ما يتعلق بالغناء ، والمغازلة ، والمعاقرة
 والرياضة ، فهو تدفق الحيوية البشرية ، لتعبّر عن الغريزة بش
 الأنواع ، لتنتفح على الوجود بأغنى ما فيه من انطلاق وامتعة

أولا ادلّ على عناية المغنين والمغنيات بشعره وتأثرهم به من
 ليل الإقبال على نشره وتلحينه ، وترديده في ساعات الانطواء
 لعن النفس ، فهو أحد عبّاد الحياة والجمال الذين لا نعرف لهم
 الذلّ ، فهؤلاء شعراء العرب جميعهم عاشوا في حدود رسمها
 شمع ، أما هو فقد كان وحده عالماً للمتعة والافتتاح ، جرى
 بها أذهان المتأخرين مجرى الحياة في الأحياء ، فهذا أحد تلاميذه
 يتراءى :

ع الأيام تفعل ما ارادت اذا جادت بندمان وكاس
 « بارتِ مریم » والصحن فيه حديقتان من ورد وآس
 أرطبي في لوحظ مقلتيه نعاسٌ من فتورٍ لا نعاس
 « خلّ لا يحول عن التصابي ذكور للمودة غير ناس
 « محتضنٍ لطنبور فصيحٍ يغنيني بشعر « ابي نواس »

وقد وجدوا بعد موته في بيته « عوداً وطنبوراً » .

وكان على عادته في استيفاء المتعة ، وتعددتها ، وتنوعها ، يحب
 سماع على عدة آلات ، بما يدل على نمو حاسته الفنية وغناها :

فاشرب هديت وغنّ القوم مبتدئاً
 على مساعدة العبدان والنساء

وغنني قد اجاب العود شائقةً
 وحرك الناي مني بعض وسواسي

ولقد كثرت الآلات الموسيقية في عهد ابي نواس
ملحوظة ، اخذوا اكثرها عن الفرس ، والروم ، والهند ،
آلات للنفخ ، ومنها آلات وثرية .

ولا شك ان عصرًا يكون فيه شاعر كالنواصي ، وم
كالوصلي ، وعواد « كمنصور زلزل » ، وزامر « كبرص
صاحب الناي ، وطبال « كجعفر » ، وغيرهم ، لا شك في
من اغنى العصور لهواً . وإني اذ أعرض هذه القطعة الشع
الآتية ، التي تتفجر نغمًا ، كأنه حنين النفس العميقة الى الابل
الى المجهول ، يكاد يكون وحده موطئًا بها للموشحات :

« سلافُ دن كشمس دجن كدمع جفن كخمر
فاجت بريح كريح شيخ يومَ صَبوح وغيم
يسقيك ساق على اشتياق الى تلاق بماء
يا من لحاني على زماني اللهو شاني فلا تلهي

هذا شعره من اوتار القلوب ، واستدارة الذبول ، و
الأعطاف ، ولهات الحمر والقبل السكرى ، ولا اغالي اذا ق
إن هذا الشعر ترحلق على لسان ابي نواس دون وعي ، في
تمور بالأحان ، في احد القصور المترفة السامرة ، ولا شك
قارئها يغيبُ في نجوى حلمٍ من الف ليلة وليلة ، ويتأ
في الترتيل .

والمتفحص شعره يقع على هذه الذائقة الموسيقية ، الم

عام في قصائده الحمزية والغزلية بصورة خاصة .

تلاحظ قصائده الغزلة في الديوان من ص ٣٦١ الى ص ٤٢٦ ،
حمزية من ص ٢٤٠ الى ص ٣٢٤ .

٩ حب الطبيعة في شعره :

في شعر الطبيعة ملحوظ في الأدب العربي على اختلاف
شعره ، لصلة الطبيعة بالنفس البشرية ، ولأن شعر الغزل
يبد في أكثر عناصره الى مقابلة ما للمحبوب ، بما في الوجود
جمال ، فالطبيعة هي الأنثى الكبرى ، الأم ، التي تشمل
الحياة ، بما فيها الانسان ، والحيوان ، والنبات ، وما يتعلق
، من حقول وجبال ومياه ، ترمز كلها الى الحي الأكبر
خلق ، الله ، والشاعر يستمد من الطبيعة عناصر وحيه ، كأن
أحرفاً للتعبير ، الى جانب الأبيدية .

فالأماسي والأسحار ، والنخل والكروم ، والطيور ،
غلاب الصيد ، وفصول العام ، والظلال والرياحين ، والمعادن
كريمة ، والليل والنجوم ، والحمرة ، والمياه ، كلها عناصر
بيلة للتعبير في شعره الغزلي :

ومليح القد ، قد فاق الظبا حسناً ولينا

تحسب الورد مجديه يناجي الياسمين

يا شمس تفرع في قضيب ودعص تقا ترجرج في اعتدال

في البدر من صفحته لمحةٌ ولحمةٌ في الظبي من طرف
كم ليلة ذات أبراج واروقةٍ كاليم تقذف امواجاً بأمر
سامرتها برساً كالغصن يجذبه دعص النقا في بياض العاج رجز

يكفي ان نلاحظ ديوانه في القصائد التالية :

ص ٣

اما ترى الشمس حلت الحملا

ص ٤

فالرييح عنبرةٌ والطعم فلفلةٌ

ص ٧

اما رأيت وجوه الأرض

ص ١٠

حالك الربيع

وكسا الربيع .

النخ ...

لنرى مبلغ عنايته في الاتكاء على الطبيعة ، وان لم يبلغ
بذلك مبلغ اعتبارها كائناً حياً ينغمس بروحه في عباها
بصوفيةٍ يفلسف معانيها ، ويبثها قلقه ، ويسكر بخمرتها الماء
الكون صوراً ، بل الطبيعة عنده ، اداة للتعبير ، وسبيل
للانشراح ، ومشابهة الحبيب ، ومحال للهو والشراب والغزل

مقدار ابي نواس

من استعرض شعر ابي نواس ، يدهش لتنوع آفاقه ، وقوة شخصه ، وروعة فنه ، ليس ذلك عائدآ الى موضوعاته من خمريات وغزل ، بل الى تلك الآفاق التي فتحتها للشعر ، على الحياة ، وتعدد تلك الحُصائص الفنيّة الغنيّة ، من ذلك أنّه بوجه عام :

١ متعبد للجمال :

أحبّ ابو نواس الغلمان ، والجواري ، والحمر ، والحمار ، والنديم ، والفتاك ، والماجنين ، والزنادقة ، والرهبان ، والزهاد ، والشعراء ، والمغنين ، والمُلهين ، لم يقصر محبته على الجسد ، وإن كان هذا سبيلاً الى غيره ، بل تعداه الى نفس النديم ، وظرف الجارية ، ولطف الغلام ، وفطانة الزنديق ، وفتوة الشطار ، واحبّ السلام للناس ، والصدق ، والحق ، والطبيعة ، فهذا الوجود كله جو للمتعة والحُسن ، واحبّ نفسه التي تجمع ما في الانسان والوجود حباً جعلها مثلاً للانطلاق ، للانسان ، لأجمل ما في الانسان ، قلبه وعقله ، فاذا اطلق صفات الالوهة على الجارية والغلام والحُمرة ، فما ذلك الا أنه يُصكّي للجمال

الذي هو غريق في موجه :

فلم نستطع دون السجود لها صبرا
وسمّها احسن اسمائها
فلو انا جحدنا الله يوماً لعبدناه
اظمأت عبدك حتى ما به رمق

٢ من رواد الحرية :

قلّ ان يخلو كتابٌ من الكتب التي درست ابا نواس
من ذكر شذوذه ، وتخطيه للتقاليد ، ولعمري لو خلت الدنيا
من ثوار الفكر والروح ، من هؤلاء الجبابرة المتقدمين ، لبقيت
قافلة الانسانية في مكانها ، وما هذا الشذوذ الذي نُعت به
صاحبنا إلا نتيجةٌ تمادٍ لتطورٍ سبق عصره .

اننا لا نطلب من ابي نواس ان يسنّ لنا مذهباً في السياسة
والاجتماع ، اذ ما هذا مقصد الشاعر ، ولكننا نأخذ به بأن يعبر
لنا عن كل هذا ، عن الروح التي بها توجد حضارةٌ ما ، فالتعبير
بحرية عن الحياة يعدل اثنى ما في الحياة ، وهكذا كان ، فقد
اعطانا النواصي صورة عن هذا العصر الحرّ ، بالنسبة الى ما قبله
وما بعده ، ولذلك جعل همّة العناية « ببني الأحرار » الفرس ،
فتعصب لهم ، وكان شعوبياً لأنه حرّ :

وإن عدل العواذل لستُ بمن يجانبُ لذةً حذر الأنام

أمّ كان اوله حلالاً فخلّ الحلّ يذهب بالحرام

ومن مظاهر تلك الحرية التي أغرم بها شاعرنا هذه الأبيات
أوردها صاحب الوساطة وصاحب الحان الحان :

« قد غنينا عن الشتاء وعن اللبس والفراء

وعن الحشو والعمامة والكن والطلاء

وعن الفرش والغطاء في بيوت بلا كراء

قدم الصيف بالولاية قدامه الهواء

بالمناديل والغلالة والنعل والرداء

بالبطباير والطبول وبالرقص والغناء »

وما نحسب هذه العبادة للحرية ، الا ذات اثر فيما نرى من
وقف أبي نواس من التكاليف الدينية ، والتقاليد الاجتماعية :

ربت الحمر في رمضان حتى رأيت البدر للشعري شريكا
يا اخي الديوك منادات فقلت له « وما يدري الديوكا »

عصر أبي نواس في نزوعه الى الحرية ، أشبه ما يكون عصر
رة ، فلم يكن الوليد الأموي ممهداً لأبي نواس في الحمرة
ط ، اذ قد سبقا بشعراء خمريين ، بل كان توطئةً فيما يتعلق
لانطلاق والاستهتار من جهة الشعر والحياة ، وبدأت من
لحوانب الأخرى تضطرب ترجمات الفلسفة ، وتتعدد مسائل

النحو ، وغيرها حتى اواخر القرن الثاني .

غير أنّ مدلول كلمة الحرية غامض بالنسبة الى هذا العصر ، اذ لم تكن مربوطة بقانونٍ واضح ، اللهم الا فيما يتعلق بتسامح الحلفاء ، وتطلع الناس الى الأخذ من الحياة بنصيب وافر .

فاذا عرف المعاصرون « الحرية بأنها حصول كل فرد في مجتمعه على حقوقه الطبيعية والسياسية ، وان يستمتع بها دون قيد او شرط ، سوى منع غيره مباشرةً من الاستمتاع بنفس الحقوق » فإنّ العباسيين كان لهم شيء من هذا ، بدليل تعبيرهم عن عواطفهم بحرية ، وعن افكارهم بحرية ، وهذه المذاهب الكثيرة التي تتعارض مع الدين شاهد على هذا ، لكن تلك الحرية لم تكن تامةً ، واضحة المعالم والطرق .

والذي يهمنا من الموضوع هو الحرية بالنسبة الى فردية ابي نواس ، لنقيسها بتعبير فولتير المشهور بخصوص الحرية :

(La liberté consiste à ne dépendre que des bois)

او بتعبير آخر ، هي الأخذ بنصيبٍ من الوجود كما هو بمراعاة تناسبها مع الخير .

وعلى رأي بعض المغالين ، انها « حالة من يعمل ما يريد ، لا ما يريد الغير » فهي بهذا المعنى انتفاً الالتزام .

واما مدلولها عند الاخلاقيين والنفسيين ، فهي حالة الكائن ،

الذي يصمم « بوعي » على عملٍ ما خيراً كان أو شراً بعد رويةٍ وتفكيرٍ ، وبرهانٍ يبرر ذلك العمل ، وبمعنى آخر ، هي تحقيق الذات بوعي ، بحيث تكون الطبيعة الانسانية موجهة ، بما هو الأفضل فيها .

بهذا ، ندرك كيف كان شاعرنا ابو نواس متوفراً على معاني الوعي ، التي تمكنه من التصميم على الفعل لارادته ، ومعرفته بطرق البرهان على تبريره ، وأنه كان أحقّ من الكثيرين غيره بلقب « الحر » ، وما حياته ، وشعره ، الادليل ساطع على هذا ، غير ناسين كلمة « روسو » بخصوص الحرية ، حيث قال :

« مُخلق الانسان حراً ، ولكنه يرسف في القيود والأغلال اينما سار ، بينما يظن البعض انه سيد غيره » ، فهي هنا اعتبارية ، فقد تكون تلك الوثبات المنطلقة التي ننسبها الى الحرية ، مقيدة بقيود فكرية ، وشخصية ، واجتماعية ، وبهذا تنهافت نحو الجبرية ، التي تغلّ الارادة .

فمثل ابي نواس عند الفقهاء اسير شهوانه ، والفقهاء عند اسراء جمودهم وغفلتهم عما في الحياة من جوانب متسعة ، ومتع مغرية .

تنتفي كل هذه الاقوال المتعارضة ، متى اشترونا في الحرية ، الوعي ، والمعرفة التي تتعلق بشرح الارادة ، وتبرير عملها ، مع عدم التعارض مع الخير العام الذي هو ملك للانسانية ،

فهي ليست انطلاقاً وليست تقييداً ، بل هي افقٌ عالٍ من
الفهم والتهديب ، او الخلق والمعرفة .

بهذا لم يكن ابو نواس جاهلاً ، ولا اسير توجيه الغير ،
ولا متحيزاً عما يراه الخير الى الشر ، فكان بكل أعماله على
تناقضها في الظاهر كالزندقة ، والزهد ، صادقاً ، والعنصر العقلي
فيها واضح ، والتصميم عليها نُقْذ بعد محاكمة :

(ا) واذا وصفت الشيء متبَعاً

لم تخلُ من غلطٍ ولا وهم

(ب) فاعذر اخاك فاني رجلٌ

مرنت مسامعه على العذل

(ج) لا غليظاً تنبو الطبيعة عنه

نبوة السمع عن شنيع الكلام

(د) اذ كنت لا انظر من حيث لا

أنظر الا نحو وجهٍ حسن

فالبيت الاول ينفي تقليد الغير وتوجيهه ، والبيت الثاني
يفيد التصميم بوعي على عمل ما هو فيه وله ، والثالث يعطينا
صورة عن تلك الذائقة ، وذلك التهديب الخلقى الذي عبر

*

به ، وعاشه ، والبيت الرابع يشير الى التقيّد بعبادة الجمال على مذهب « روسو » ، والتعبّد للجمال من اسمى مراتب الحرية .

من مظاهر هذه الحرية ١ دعوته الناس الى ان يعيشوا حياتهم ، حسب مقتضيات عصرهم ، لا حسب الماضي الفأث ، او الغد الغيبيّ المنتظر ، فهو يعلم الناس الصدق والفنّ معاً ، ويعلمهم العدل ، واخير بطريق غير مباشر ، ويدل الناس على الجميل بألف من طرائق المعتزلة ، والحوارج ، وما صدقّه ، ومحبه الخير ، لارضاء الناس ، بل كان ذلك عن تذوّقٍ فنيّ واشعاعٍ روحيّ ، كالظل عن الشجرة ، وكان أثر ذلك في الاجتماع ، والسياسة ، وحياة الناس ملحوظاً ، وإن لم يكن بالمباشرة .

٢ خروجُه على تقاليد معاصريه ، وتعلقهم بالماضي من حيث طرائق المعيشة ، والتفكير ، وثورته على الشعراء المتبعين للقدامى من حيث الوقوف على الاطلاع ، وافتتاح القصائد كالجاهليين ، واستعراض حياة البداوة ، وربما كانوا لم يألفوا مضرّباً ، او يقودوا بعيراً ، وقد تصبح قصائد بعضهم نوعاً من المومياء ، او اصنام الخشب .

في هذا الخروج تجديد وثورة وهما من المع اشعة الحرية :

« لا تبك للذاهبين في الظعن ولا تقف بالمطيّ في الدمن »

وعُجْ بنا نصطبج معتقةً من كف ظبي يسقيها فطِنَ
تخبر عن طيبه محاسنه مكحلٌ ناظريه بالفتن
ما أمت العين منه ناحيةً الا اقامت منه على حسن »

هذه القطعة تظهر لنا الثفرة من البكاء على الاطلال ،
والدعوة الى متعة الحمر ، ومحبة الغلام ، ذلك الحب الذي
توجيه اجواء بغداد الحضارية ، ثم ذلك التصوير الممتع للغلام
الذي يشير الى السكر الموصل بعبير الجمال ، والرقى الروحي
المصفى :

أصبح التجديد رسالة ابي نواس ، قلما تخلو قصيدة من
قصائده من التلميح والتصريح بهذه المعاني الجديدة ، المجددة .

قد عاش « عدي » معاني الحمرة والغزل لنفسه ، وعاش
الوليد تلك المعاني ، مدفوعاً بعوامل نفسية متشائمة ، مضطربة ،
محاطة بعوامل سياسية مختلفة ، ولكن واحداً منهما لم يعشها
لعصره ، للحياة ، فتصبح تعبيراً عن وجوده الفردي والوجود
الاجتماعي الانساني الآخر ، كأبي نواس ، فهو بهذا وحده من
بين شعراء العربية ، واحد القم في شعر البشر ليكون إنسانياً .

٣ انسانية ابي نواس :

من قيمه الملحوظة ، هذه الروح الانسانية ، المتولدة من
تربية نفسية خاصة ، واحساس مصفى نبيل ، وتامل داخلي ، ينفر

من الناقىء غير المنسجم؄ ساعدت على كل هذا ثقافة شاملة؄ وتجارب شعورية وعقلية لم تقف عند الجزئيات بل عملت لما هو أشمل .

لم يكن مغالياً السيد (Louis Gardet) حين عدّ ابا نواس من جملة الانسانيين المسلمين في رسالته (L'Humanisme Musulman) اذ يقول : « الذين هم بدون ادنى شك ليسوا للجمهور العربي الاسلامي فحسب ، بل هم للمعطيات الفكرية لجميع البشر المتحضرين » . فاذا كان الانسان مقياس كل شيء كما يقول بروطاغوراس ، والانسانية مجموعة صفات مشتركة بين البشر كالمحبة ، والشفقة كما يشير توما الاقويني ، او انها كائن حي؄ لها ما للفرد ، حسب تعبير اوغست كومت ، او انها مؤدى الغاية الاخلاقية والسياسية الشريفة ، التي على اساسها بُنيت شرعة شاعرنا حقوق الانسان أمكننا ان ندرك مدلولها بالنسبة الى المدرّوس .

واذا اعتبرنا قوله « حبٌ ما في الناس من حسن » وتسامحه؄ وكرمه ، وحياته للحب والجمال ، والسلام ، ودعوة الناس الى تذوق الحياة ، عرفنا عندئذ كيف كان بصدق انسانياً :

« لنا منه بعينه عداً » يخاطبنا بها كركّ الجفون
كان الشمس مقبلة علينا تمشى في فلائد ياسمين
الى ان يقول :

اقول لناقني اذ بلغتني لقد اصبحت عندي باليمن

فلم اجعلك للغربان نخلًا ولا قلت اشركي بدم الوتين
حرمت على البراذع والولايا وأغلق الرحالة والوضين ،
هو يحسُّ انَّ بينه وبين راحلته صداقة فيريد ان يبر
حريتها ، لتشعر بها مثله :

واذا المطيِّ بنا بلغن محمدًا فظهورهن على الرجال حرام
قربنا من خير من وطىء الثرى فلها علينا حرمةٌ وذمام
ظهورها حرام على الرجال ، لا عليه وحده ، فقد اط
لها الحرية ، وضَمِنَها . ثم انظر كيف عبر بكلمتي « حرمة
و » ذمام » عن أنبل المعاني الشريفة ، بخصوص حيور
مطيع مفيد .

فأين هذه الصورة التي بدأها بوصف غلامه ذلك الوصف
الانثى النضر ، المترع جمالاً ، وثناها بهذا الحس الانسا
الشفيق ، الذي يدرك ان الراحلة لها حقٌ في الحياة مثله ، و
ساق الحديث عن تلك الراحلة ، ليتمكن من اظهار مشاء
الحقة نحو الاحياء عامة ؛ اين هذه الصور من صورة الشماخ الذي
يُشْرِقُ ناقته بدم الوتين اذا بلغتته ممدوحه « عرابة الاوسي »

كما ان الفرزدق الذي وعدا بالاستراحة — الى وقت ما
من التهجير ، والسير العنيف ، لم يبلغ مبلغ النواصي الذي و
الحرية وضمناها .

ومن مظاهر انسانية النواصي ، تلك « الشعوبية » التي اتهم بها على انها احدى النقائص ، وما هي في واقع الحال ، الا الميل نحو الأجل ، والاغنى حضارةً وحرية :

وما شرفني كنية عربية ولا اكسبني لثناء ولا فخرا
ولا تأخذ عن الاعراب لهوا ولا عيشاً فعيشهم جديب
ومن تيم ومن قيس وليفهما ليس الاعارب عند الله من احد

والشعوبية مظهر انساني يقول بتساوي الشعوب ، اي عدم تفضيل امة على اخرى ، استندت في اصلها الى معنى الآية القرآنية :

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

وهي مأخوذة من كلمة « شعب » وهو جيل من الناس اوسع من القبيلة يقول العقد الفريد « الشعوبية هم اهل التسوية » وفي الصحاح « الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم » وفي « اللسان » « الشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم . »

وقال ابن رشيق « وكان ابو نواس شعوبي اللسان ، ولا ادري ما وراء ذلك » كلمة ابن رشيق شعوبي اللسان ، تفيدنا دعوة الى الشعوبية ، دون إضرار بغض لشعب دون آخر

بالقلب ، وهذا تأكيد للروح الانسانية في وجوده .

وذكر بروكلمن « أن علان الفارسيّ النساخ في مكتبة بلاط الرشيد ، وضع كتاباً خاصاً حشر بين دفتيه مثالب القبائل العربية ، فلقب من اجل ذلك بالشعوبي ، اي المدافع عن تساوي الامم بالحقوق » وذكر ضحى الاسلام أن طاهر بن الحسين أجازة بثلاثين ألفاً كما وضع ابو عبيدة عدة كتب في ذلك

فاذا كانت الشعوبية مذهباً سياسياً وإنسانياً في نفس الوقت ، فان أبا نواس عربيّ الأب ، ليست شعوبيته عنصرية ، بل هي من النوع الانسانيّ المنفلت من قيود العصبية ، فالفرس ليسوا قومه بل هم عنده « بنو الاحرار » .

✱

كذلك يمكن القول ان الشعوبية ليست عقيدة ، بل هي نزعة ، تشبه ان تكون محاولة ديموقراطية تحارب ارسطراطية العرب .

من مظاهر هذه الانسانية ايضاً في تراث ابي نواس ، نفقته من كل ما يضعف شعور الانسان نحو اخيه الانسان ، هذه الأخوة ، لم يكن مدفوعاً اليها بعامل الدين ، او القانون ، او غير ذلك ، بل بشيء واحد ، هو أنها جميلة ، هو أنها عمل فني ، فالحرب قبيحة لا يحبها لأنها تصرف عن تذوق الحياة

تعمها ، بالوانها المختلفة ، فاذا نَدَدَ بها ، فليس على طريقة
 زهير » والمصلحين الاجتماعيين ، بل يعرض لنا وصفاً رائعاً
 ليس خمريّ غزليّ ، ثم يقابله بويلات الأخرى ؛ هو في فنه
 قعيّ ، لا يتقيّد بالنصائح النظرية ، ويقول :

« اذا هبّا ابو الهيجاء	للهيجاء	فرسانا
وسارت غاية الموت	امام الشيخ	إعلانا
جعلنا القوس ايدينا	ونبل القوس	« سوسانا »
فعادت حربنا أنساً	وعدنا نحن	خلانا
اذا ما ضربوا الطبل	ضربنا نحن	عيدانا
وانشأنا كراديساً	من الخيريّ	الوانا
واحجار المجانيق	لنا تفاح	« لبّنانا »
فهذي الحرب لا حرب	تعمّ الناس	عدوانا »

هذه صلاة ، وتسابيح جمال ، تسكر في نغمتها كل روح
 إنسانية عالية ، فهي كاملة من ناحية البناء الشعري ، وشرف
 المعاني ، توحى لهؤلاء الممتازين الذين يتغنّون بنشيد السلام ،
 وأخوة أبناء الارض ، ليجعلوها وطناً عالمياً واحداً ، أن يبنوا
 هذا الوطن في جوّ أبي نواس الشعريّ .

ابو نواس يسخر من الحرب ، بأسلوبه الماجن الظريف في
 غير قصيدة من قصائده ، واضعاً قبالة الدم ، والهلاك ،

الحبّ والصباح :

وأيسر من مباكرة الاعادي مباكرة الحبيب لدى الشروذ
وكأنني بأبي نواس يشارك المعاصرين في حلّ المشاكل
الاقتصادية ، وأزمات العمّال ، ويشير على هؤلاء الاشتراكيين
إشارة « محبة » تفوح منها رائحة العصر الحاضر ، بلونٍ من
الوان الصفاء الشعري ، بأسلوب النواصي الخاص :

احسن من موقفٍ على طللٍ ومن عقارٍ جرت على ثلٍ
نعتُ رغيْفٍ كأنّه قمرٌ لم يك خبّازه على وجل
مدور الخلق لبّن دمتُ تأكله خالياً على مهل
ثم يَنْفَلِتُ من هذا الجوِّ الى جوّه الخاصّ ليضع لنا نفسه
موضع النموذج في سلوكه ، ونزوع قلبه :

إني امرؤٌ همّتي والله يكلؤني
امران ما فيهما شربٌ ولا أكلُ

حبّ النديم وما في الناس من حسنٍ
كفّي اليه اذا راجعته خضيلُ

الشك والقلق

عند ابي نواس

قد يكون الشكّ والقلق متلازمين في النفس التي حصّلت نصيباً من المعرفة ، هذه المعرفة التي تتقرر بعد مراحل من الشكّ ، والشكّ هو ذلك الاضطراب الذهني امام صعوبة المسائل ، واستحالة القضايا ، وهو من ناحيةٍ اخرى ، تحرك الفكر بالأسئلة ، وعدم تلقيّ جواباتها .

وقد يصل الشكّ الى درجة الثبات ، فينقلب الى قلق ، متمثلٍ بانفعالٍ داخلي ، اليم ، مخيف ، يصعب التخلص منه ، ومن مظاهره الكآبة ، وتوجّس الشرّ من القدر ، والألم الغامض الرهيب ، وتململات من الاحساس بالحطّ ، والسقوط ، وعدم الرغبة في شيءٍ مخصوص ، مصحوباً بالكسل والاشمئزاز ، وقد يؤدي ذلك الى الانتحار .

وقد يكون مؤسساً على اضطرابات ذهنية ، وعصبية ، وجسدية عامة ، او بناءً على مذهبٍ خاص يفلسفُ الحياة فيجدها فراغاً بين الوجود والعدم ، فيندفع صاحب هذه الحالات في

احدى هذه الطرق الثلاث ، الانتحار ، او الانغماس في اللذة
كالنواصي والحيام ، او الزهد كالمعري .

وقد بدأ **الشك والقلق** يساوران بعض النفوس في الجماعات
الاسلامية ، منذ وفاة النبيؐ ، وكان مظهراً لها اضطراب « عمر »
القلق الذي لم يصدق وفاة الرسول ، وحروب « الردة » من
جهة اخرى ، ثم اتخذ التلقُّ سبيلاً الى نفوس الشيعة بعد نكبة
آل عليؑ ، واشتراكية ابي ذرؓ ، وانحراف الخوارج ، وتشدد
الأمويين ، ونشوء موجات اللهو ، والزهد ، ترفدها عناصر
من الاسلام ، والمسيحية ، واليهودية ، وغيرها ، فكثر التأويل ،
واختلفت الشروح ، واضطربت رواية الحديث .

وقد اصطبغ **الشك** بالروح العلمية على ايدي المعتزلة ،
الذين من اعلامهم ابو الهذيل العلاف ، وتلميذه النظام صديق
أبي نواس — اذا صح انهما اجتماعا — وقد قوي **الشك** في القرن
الثاني وعلى عهد المأمون والوائق بعد أن نضجت دراسة المعطيات
اليونانية ، ازاء الفرق الاسلامية المتعددة .

ابو نواس ، شاعر هذه الفترة ، واحد رجال الثقافة المرموقين
في عصره ، هذا **العصر الشاك** الناثركا يرى طه حسين ، يتجلى
ذلك في غزله من خمري وغلامي ونسائي ، وما اشعاره **الزاهدة**
في آخر عهده ، إلا برهان قاطع على **الهوّة المخيفة** التي تفصل بين
عهده **اللاهي** ، وبين عهده **النادم** .

أفيكون شعره الزاهد - من حيث القلق - استمراراً
لشعره اللاهي ؟

وهل تلك النفس التي فكرت في الموت والبعث ، والجسم
والروح ، والزمان والحياة ، وعاشت اللذة باحساسٍ جماليٍّ
منقطع ، متجدد ، وكيف يرى نفسه تارة مجبراً ، وتارة متصرفاً
فتستفيق اعماقه صارخة كسليمان « باطل الأباطيل كل شيء باطل »
فيتخيّل إمامه الموت وما يتبعه من حساب فعقاب ، فيفزع الى
الله ، بعد أن ضعفت اداته في طلب اللذة ، وينسى كل شيء الا
التوسّل علّ الله أن يغفر له ؟

لكنّ هذا الرجوع الى الله لم يكن دفعةً واحدة ، فكثيراً
ما كانت تعود نفسه الى سابق لها .

من هنا عدّه الكثيرون - زنديقاً - غير ملاحظين حالات
النفس وما يعتريها ، وما يتقلب عليها من اجواء .

الزندقة .

والزندقة في هذا العصر تشمل الشكّ والقلق ، وإن كانت
على مراحل متفاوتة بالنسبة الى عصور الفكر العربي .

ففي عصر بني أمية ، اتّهم بها « الوليد » ومؤدّبهُ ، بسبب
ما شاع عن الوليد من الاستهتار بالدين ، والاكتار من الشراب ،
بينما كثر المتّهمون بها في العصر العباسي ، والسبب في ذلك أنّ

الزندقة في بعض معانيها، وهو الشك والاحاد، إنما تقتون عادةً بالبحث العلمي ، وهو في العصر العباسي أبين واظهر .

والسبب الثاني أنّ الفرس الذين لم تتحقق مطالبهم بانتقال الخلافة من بني امية الى بني العباس ، اخذوا يعملون على نشر المانوية ، والزردشتية ، والمزدكية ظاهراً وخفية .

المانوية :

مذهب « ماني » الحكيم الذي ظهر في زمان شابور وقتله بهرام ، اتخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة عيسى ويُنكر موسى . زعم ان العالم مصنوع من أصلين قديين النور والظلمة وهما ازيلان ، ولا يزالان قوتين حساستين ، سميعتين بصيرتين ، وهما في الصورة ، والنفس ، والعقل ، والتدبير ، متضادان ، وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظل : (الملل للشهرستاني ص ٧٧ وما يليها) .

الزردشتية :

مذهب « زردشت » الفيلسوف الفارسيّ الكبير ، اتخذ « يزدان وهو النور ، واهرمين وهو الظلمة » أساساً لدينه ، وحصلت منهما التراكيب والصور بالامتزاج ، وهما يتغالبان الى ان يتفوّق النور على الظلمة ، وله كتاب « الزندفستا » المقدس عند الفرس ، وهو يقسم العالم الى جسماني ، وروحاني ،

أنّ ما في العالم « التقدير والفعل » وكل واحد معتمد على الثاني ،
 ما التكاليف فهي مقسومة الى اعتقاد ، وقول وعمل .
 وللزردشتية عدة فروع ثنوية (الشهرستاني ص ٧٧ ومايلها) .

المزدكية :

مذهب « مزدك » الذي ظهر في أيام « قباد » والد
 « انوشروان » قَتَلَهُ « انوشروان » بعد اطلاعه على خزيه ،
 المزدكية تتفق في كثير من اغراضها مع المانوية ، كما في
 مسألة النور والظلمة ، وقد احل مزدك النساء ، واباح الأموال ،
 وجعل الناس شركة مثل اشتراكهم في الماء والهواء ، وقيل انه
 امر بقتل النفس لتخليصها من الظلمة والشر ، ومذهبه أن اصل
 الوجود الماء والنار والارض وان الله قاعد في العالم الاعلى على
 كرسيه قعود « خسرو » في العالم الاسفل وبين يديه اربع قوى :
 قوة التمييز ، والفهم ، والحفظ ، والسرور (الشهرستاني) .

ملحوظة :

أ ذكر « خدابخش » المعلق على كتاب فون كريم « الحضارة
 الاسلامية » ، وتأثرها بالمؤثرات الاجنبية ، ص ١٦٧ :

« ان المانويين كان مركزهم بابل قديماً (في المحيط الذي
 بنيت فيه بغداد بعد ذلك) ، وانهم كانوا يعظون أيام الاحد ،
 والاثنين ، ويصلّون اربع صلوات في اليوم ، الظهر ، والعصر ،

والمغرب ، والعشاء ، ويصومون ثلاثين يوماً ، ويختلفون عن
المزدكية الذين يبيحون النساء والاموال ، يميلهم الى تهذيب
النفس بالحرمان ، وتحريم اكل اللحم ، وملامسة النساء .

ب كما ذكر ابن النديم في الفهرست ج ٦ ص ٣٦٥ طريقة
صلاة المانوية ، ووضوئهم .

ففي عهد المنصور ، نرى اسم الزنادقة مقروناً بالمُجَّان ، ولم
يُلاحقوا بشدةٍ الا في عهد المهدي ، الذي عيّن رجلاً وكل اليه
امرهم سمّاه « صاحب الزنادقة » وهذه اول مرة يُعهد فيها الى
رجل بمثل تلك المهمة ، وقد جدّ المهديّ في طلبهم ، وامر
« حمدويه » بضرب بشار حتى التلف ، كما ولّى « عمر الكواذبي »
على تعقبهم ، وقد اوصى المهدي ابنه الهادي باستئصالهم عن آخرهم
ذاكراً من اعمالهم عبادتهم الاثني **النور والظلمة** واباحتهم
الاخوات والبنات ، وقد سار على طريقة المهدي في تتبعهم
الرشيّد والمأمون والمعتمد .

معنى الزندقة :

لم يكن معناها واحداً حسب العصور ، وحسب الطبقات
الاجتماعية ، فالعامة تطلقها على **المستهتر الماجن** ، الممعن في
الشراب ومحبة الغلمان ، كآدم حفيد عمر بن عبد العزيز ، لكن
هذا النوع بدأ خفيفاً ثم اشتدّ حتى وصل الى **الالحاد** كما
عند ابي نواس ، لكن « ابن عبد ربه » ذكر ان علامة الزندقة

شرب الخمر ، والرشوة في الحكم ، ومهر البغي .

أمّا الخاصة ، فكانوا يفهمون الزندقة بمعنى آخر ، وذلك باعتناق الاسلام ظاهراً ، والتدينّ بدين الفرس باطناً وخاصة مذهب « ماني » وغرضهم إفساد الدين الاسلامي ، « كعبد الكريم بن ابي العوجاء » الذي اعترف للمنصور قبل قتله بأنه وضع اربعة آلاف حديث مكذوب مصنوع ، وإفساد اللغة والأدب ، كما كان يفعل ذلك من حيث الادب حماد الراوية .

واحياناً تطلق كلمة الزندقة على أتباع ديانة الفُرس من غير ان ينتحلوا الاسلام ، وقد يطلقها « الجاحظ » على الملحدين الذين لا يقولون بدينٍ من الاديان ، على ان المعريّ يسمي الزنادقة « بالدهرية » الذين لا يقولون بنبوةٍ ولا كتاب .

وقد عدّ المعري ابا نواس من الزنادقة ، ثم قال واختلّف فيه « وفي الطبري ان ابا نواس كان من كبار الثنوية » .

هذه مراحل مفهوم كلمة الزندقة ، وكيف كانوا ينسبونها إلى الكثيرين بالحق او بالباطل ، وان صاحبنا النواصي كان من أشهر المتهمين بها ، وهذا شعره يفصح لنا عن الحقيقة :

« بكرت عليّ تلومني فأجبتها
إني لاعرف مذهب الأبرار

فدعي الملام فقد أطعتُ غوايتي
وصرفتُ معرفتي الى الانكار

ورأيتُ إتياني اللذاذة والهوى
وتعجّلي من طيب هذي الدار

أحرى واحزم من تنظّر آجلٍ
علمي به رجمٌ من الاخبار

ما جاءنا أحدٌ يخبرُ أنّه
في جنةٍ من مات او في نار ،

ذكر الموشح للمرزباني هذه الابيات (ص ٢٧٧) وصاحب
الوساطة (ص ٥٧) وفيها تصريح بلفظ **الانكار** وعدم الايمان
بالجنة والنار ، والايمان بهما ركن هام من اركان الاسلام ،
فزندقته لا شك فيها .

وقد صرّح باوضح من هذا بقوله :

« يا ناظرأ في الدين ما الامرُ لا قدر صحّ ولا جبرُ
ما صحّ عندي من جميع الذي تذكر الا الموت والقبرُ »

وكان قد انشد هذه الابيات في مجلس شراب فامتعض اصحابه
منه ، واعلموه بانحرافهم عنه ، فاعتذر اليهم بأن المجنون
افرط عليه ، وانشد هم قصيدته التي مطلعها « اية نار قدح القادح »

التي استحسنها الجاحظ . فرضوا عنه .

على أن « فون كريم » عقد فصلاً خاصاً عن أبي نواس في كتابه « الشرق تحت حكم الخلفاء » ، قارن فيه بين أبي نواس وبين الشاعر الألماني اليهودي « هنريخ هيني » وذكر أن أبا نواس يفوقه براعةً في الشعر ، وفي السخرية ، والتحرر ، وأنه كان يسخر من الاسلام على مسمع من البلاط .

على أنني الى هنا لم ابيّن معنى هذا المجون « الذي افرط عليه » كما روى الخطيب وابن منظور آنفاً ، وهي ، مع الاسف ، كلمة يختلف مدلولها اختلافاً بيّناً كاختلاف مدلول كلمة الزندقة .



المجون النواصي

كدتُ انصرفُ عن عرض ما قال في هذا الباب لفحشه ،
إلا انني وجدتُ الحوض فيه ضرورياً لتكميل الحديث عن ابي
نواس ، ولأنّ كلمة المجون لا تتناول الفحش وحده ، بل انها
تصوّر لنا جانباً من حيويّة ابي نواس ، وانطلاقه دون حدٍّ ،
او حجاب ، لهذا اعرض الى مدلول هذه الكلمة من جهة اللغة ،
ومن جهة الادب .

المجون لغة :

ترجمت دائرة المعارف الاسلامية كلمة مجون
بـ (Bouffonnerie) ومعناها الاضحاك، وهو احد معاني المجون
لا كله .

وقال « المحيط » مجن مجوناً إذا صلب وغلظ . ومنه
الماجن الذي لا يبالي قولاً وفعلاً، وطريق « ممجن » اي ممدود،
والناقة الماجن هي التي ينزو عليها غير واحدٍ من الفحول ثم
لا تحبل .

وفي « البستان » للشيخ عبد الله البستاني « تَمَاجِنَا » بمعنى قازَحا .

وفي « اقرب الموارد » للشرتوني مَجَنَ : بمعنى هزل ضدّ جد .

يستفاد بما قدمنا أنّ هذه المادة تفيد الخروج على مألوف القول وفعله وعدم التقيد بالقانون ، او الاخلاق ، او الدين .

المجون اصطلاحاً :

واما في الاصطلاح فهي تحتل عدة معانٍ كالشك ، والاحاد ، والهزل ، والتظرف ، والحلاعة ، او مزيجاً من هذه الاشياء كلها ، او بعضها .

ذكر الاغاني أنّ « مطيعاً » لم يكن من الفحول ، ولكنه كان ظويفاً ماجناً ، فهنا اقترنت كلمة المجون بالظرف ، ثم زاد فقال : حلو العشرة ، متهمّاً في دينه بالزندقة ، فكأنها مزيج من هذه المعاني .

وذكر ابو الفرج ايضاً : أنّ ابا نواس قال : « كنت اظن « حماد عجرد » يُتّهم بالزندقة لمجونه في شعره حتى الخ ... » وكان اسماعيل القراطيسي مؤلفاً للشعراء عنده يجمعهم فيشربون ويمجنون ، ويدعو لهم القيان والعلمان .

فميجون حماد عجرد يحتمل الاستهتار ، وميجون الشعراء
عند القراطيسي معناه الخلاعة ، وشرب الخمر ، والاضحاك .

وفي الموشح حديث ' الجمّاز » عن ابيات النواصي التي منها :
ما جاءنا احد يخبر أنه في جنة من مات او في نار

فلما بلغ هذا البيت ، قال له الجمّاز : يا هذا إنّ لك أعداء ،
وهم ينتظرون مثل هذه السقطات ، فاتّق الله في نفسك ودع
الافراط في المجون . فقال ابو نواس : « لا والله لا اكتبها
خوفاً ، وإن قضي شيء كان . » الخ ...

فهنا قرنت كلمة المجون بالكفر والاحاد .

وقد مر معنا انشاده جماعة من عشرائه : يا ناظرأ في الدين
ما الأمر ... الخ .

فلما امتعضوا ، اعتذر بقوله « ولكن المجون يفرط عليّ »
فهنا بين الشك ، والاستهتار ، والخلاعة .

ثم عاد فقال بعد « قصيدته الزاهدة » « هذا هو عمل الشيطان
القي بهذا الكلام ليفسد يومكم » .

وأما المجون بمعنى الدعارة ، فإن ابياته في ابن الصيرفي
واضحة الدلالة أمسك عن روايتها لفحشها ، وللخطيب البغدادي

قوله « إن الجمار كان ماجناً خبيث اللسان . » فمعناها هنا
بذاءة القول ، والاستهتار .

وقال الجاحظ عن الحسين بن الضحّاك « إنه كان ماجناً
مطبوعاً ، حسن التصرف في الشعر . » ومثل ذلك ذكر ياقوت
في معجمه .

اما « ابن العماد » فقد ذكر عند حديثه عن ابي العتاهية
« أنه كان اول امره مخنثاً ، سمي بأبي العتاهية لأنه كان يحبّ
الشهوة والمجون لعنّوه » فمعناها هنا التخنث والشذوذ الجنسي .

وفي ذيل الأمايلي أنّ النواصي لما قال :

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان عليّ مأثور القبيح

قال ابو العتاهية : « لقد جمع في هذا البيت خلاعةً ومجوناً . »
فالشر الأول يفيد عدم المبالاة بممارسة امور الشباب الخلاعة ،
واما الشر الثاني فيتناول كل ما خرج على حدود العرف ،
والاخلاق ، والدين ، والقانون ، فهو مزيج متعدد التركيب .

من هنا يتلخص معنا أنّ المجنون النواصي يتلاقى مع الزندقة
في جانب ويفترق عنها في آخر ، فالزندقة اقرب الى الكفر
والشك ، والمجون اقرب الى الخلاعة ، والتظرف ، والهزل .

✱

بعد هذا يتبين لنا أن الرجل كانت له حالات تضررب
فيها نفسه القلق بين الشك، والانكار، والايمان، وبين الانشراح
والقلق ، والاشمئزاز ، والثورة ، وليس زهده إلا وجهاً آخر
لذلك القلق ، انغمس فيه استجابةً لنداء داخلي مرعب ، وقد
ضعفت في نفسه الصارفات الى اللهو .

ويمثل شعره الزاهد هذا الجو النفساني الانساني
ويعرض لنا إيمانه وندمه ، بصورة حارة صادقة تبعث على الشفقة
والرثاء له .

زهدي النواصي :

كل من قرأ قصيدة أبي نواس الرائية الماجنة التي يسرد فيها
ذهابه الى فقيه عالم يسأله عن النبيذ هل هو حلال ؟ فيجيبه
الفقيه (جبر الاحبار) الحلال هو العقار ، التي ترمي العيون
والافواه بشرارها لقوتها الكحولية ، على ان تشرب في جو
من صوت الزمار ، ينفخ فيه عيار ماهر ، ينادمه ، ولا بأس
بالصلاة ما دام حليف الحمرة ، اما الصيام فليبتعد عنه شاداً
« عرى الافطار بالافطار » ، واما الحج فهو فضول يجب ان
ينصرف عنه ولو كانت « مكة » عند باب الدار ، واما الجهاد
فليهمك ، وليسالم الكفار ، على ان ينتقم للمسلمين بمواصلة
ابنائهم المرد ، واخيراً امره هذا الفقيه الناسك أن يزين هذه
الحصال بالقمار .

كل من قرأها يعجب العجب كله كيف يندم قائلها ، ويقول
شعراً في الزهد ، يحمل أبا العتاهية المختص بهذا النوع من الشعر
أن يتوسل إليه كيلا يقول في هذا الباب لثلا يفضحه ، لأن
أبا العتاهية مستقيم من الجهة الدينية يأمل دخول الجنة ، ولذلك
جاء زهده في الشعر محدود الأثر ، بينما زهد أبي نواس في شعره ،
زهده المنخلع فؤاده من هول العقاب ، جزاء ما أسرف في ماضيه ،
يرفده تفوق قريحة عبقرية الشاعرية . أحب أبو نواس الحياة حباً
اندفاعياً لا يبالى فيه أين وقع ، وهذا جانب بشري قوي الدلالة :

« رأيت أتياني اللذاذة والهوى وتعجّلي من طيب هذي الدار »
أخرى وأحزم ...

ثم رأى أن كل ما كان فيه ذهب ادراج الرياح :

دبّ فيّ السقام سفلاً وعلوا واراني أموت عضواً ، فعضوا

فارتاع خوفاً ، والقلب البشري — عند يأسه وخوفه — لا
يجد غير الله ملجأ ، بل ربما كان هذا الشعور ، عزاء الإنسان
الاول الوحيد ، في كل ما كان يعترضه من مخاوف تجاه الطبيعة
ومصائبها .

ثم انّ مثل أبي نواس في نضج تجاربه ، وثقافته ، لا ينعفس
في لهوه عبثاً ، بل وراء كل قصيدة خمرية او غزلية ، وخلف

كل حركةٍ ماجنةٍ أو شائكةٍ ، وجهٌ من وجوه روحه الخائفة
القلقة ، التي تتمزق في أعماقها ، إذ لا يرى في هذا الوجود ظاهر
تناسب ، ولا محبة إخاء ، فيهوي مرتقياً في كأسه ، لينذهل عن
مآسي الكون ، وليس صواباً أن الرجل كانت تتحكم به الحالات
الطارئة بل هو كان مزدرياً ساخراً يشبه أبا العلاء رغم ابتسام
هذا في الظاهر ، وعبوس أبي العلاء ، ولكن أشعاره الزاهدة
على صدقها ، وروعتها ، لا تظهر لنا شخصيته كشعره اللاهبي
لأنه عاش شعره اللاهبي بكيان كامل ، بينما شعره الزاهد قال
وهو موزع مرعوب .

ذكر ابن قتيبة أن الرشيد وربما المأمون ، كان يجعل قول
أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوٍّ في ثياب صديق
قمة الإعجاز ، وإن الدنيا لو تمكنت من النطق لما وصفت
نفسها بغير ذلك ، وقد يجعل الناس سواء في عدم محاسبة النفس ،
وكانني به يعتذر عما فرط في جنب الله ، قائلاً :

لو لم تكن لله متهماً لم تمس محتاجاً الى احد

فالحياة الاجتماعية قائمة كلها على ذلك الاحتياج :

تعاطمني ذنبي فلمّا قرنته بعفوك ربي ، كان عفوك اعظما

لكنه قد لا يطمئن إلى خلاصه من العقاب فيصبح كالمجنون :

لو أنّ دون النفس واقيةً لفديتها بالمال والولد

فهل بعد هذه الاستغاثة من دلالة اقوى على حب الحياة ،
والتعلق بها ؟ ان مثل زهد ابي نواس ، لا يعدله شيء في عمقه وقوته
وصدقه ، لأنه نتاج اليأس ، والشعور بالفراغ ، إنه نداء مكبوت
من وراء هذا النداء الصارخ ، يكاد يفجر كيان صاحبه خوفاً
من الموت ، والمصير :

« وانت أيها المزمع ان تتوب غداً

أوما تخاف الموت قبل غد ؟ »

الحياة والموت ، الوجود والعدم تقسماً فكره وشعوره ،
لموه وندمه ، فبمقدار ما انغمس في اللهو ، ليستر يأسه ، وينسى
قلقه ، ارتعد هلعاً من القدر ، فاذا قال منكرآ « ما جاءنا
أحدٌ يخبر انه في جنةٍ أقام او في نارٍ » فهو هنا يبكي ذاته لا
بدمعه وحده ، بل بقطع من روحه ، ودمه ، ولحمه وعظمه ،
مؤمناً بحقيقة الاسلام ، الذي اخبر أنّ اعضاء المرء ستشهد عليه
في الآخرة :

ما حجتي يوم الحساب اذا شهدت عليّ بما جنبت يدي ؟

المصير ، المصير ، دائماً يتخايل في كأسه ، ومجونه ، فيطرد
الاشباح بتخدير حواسه كلها ، لكنه يفيق ليقول :

انّ مع اليوم فاعلمنّ غداً فانظر بما ينقضي بحبي غده
ما ارتدت طرف امرئ بلذته الا وشيء يموت من جسده

عاش هذه الصورة الحية الرائعة بعقله وقلبه ، ودفع ثمنها
غالباً من دمه ولحمه ، وهكذا فإن نشاط الجسد يطفى على
العقل ، فتسير الغريزة عمياء لتشبع نهمها ، وبعد أن تطمئن يأخذ
العقل في تحليل العمل ، شرح اللذة ، فيقول ما قال صاحبنا قبلاً .

وهل اقوى وابلغ من صيحته في وجه اللذائذ ، في وجه نعيم
الدنيا ، في وجه ماضيه القائل « ان لذة الدنيا العاجلة احرى
واحزم من انتظار الآجلة » :

يا نعيم الدنيا خلطت علينا أنت مستقبلٌ وانت مولٌ
تبغي من الدنيا زيادتها وزيادة الدنيا هي النقصُ

إن من قال في شبابه قولاً يدفع الى اللذة ، ومن قال في
شيخوخته قولاً ينقم فيه على اللذة ، لم يكن مناقضاً نفسه كما يظهر ،
ولم يكن عابثاً كما يخيل للبعض ، بل كان كالمستقرئ العالم ،
يفحص ، ويجرب بنفسه ثم يحكم . وزهد النواصي قضية منطقية
لها مقدمتها ونتيجتها .

وكما اشرنا سابقاً الى قوة الاستحضار عنده ، وهي من عمل
المخيّلة القوية ، فانه هنا يتصور نهايته بقوله :

وأرتك قبرك في القبور وانت حيٌ لم تمت

فاية نهايةٍ أقسى من هذه النهاية ؟!

واذا ظهر لنا من شعره الحمري الغزلي ، أنه من الميالين
الى المسيحية ، فانه في شعره الزاهد ، مسلمٌ بإيمانه ، وتعبيراته ،
واني لأتساءل هل يمكن أن نتصور دعاء أنقى وأصفى من هذا
الدعاء ، الذي يتهل به الى الله :

« يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرةً
فلقد علمتُ بأنّ عفوك اعظم

ان كان لا يرجوك الا محسنٌ
فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ ؟

ادعوك ربّ كما امرت تضرّعاً
فاذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ ؟

ما لي اليك وسيلةٌ الا الرجا
وجميلُ عفوك ، ثم أنيّ مسلمٌ »

ابو نواس يختلفُ عن الحيام اختلافاً بيناً بهذا الخصوص ، فهو
ينهمر بكامل وجوده ، راکعاً يستجير بعفو الله ، من عذاب الله ، بينما
الحيام يخاطب الله مخاطبة الند للند ، مخاطبة الشيطان لله بقوله :

إلهي قل لي من خلا من خطيئةٍ
وكيف ترى عاش البريء من الذنب

إذا كنت تجزي الذنب مني بمثله
فما الفرق ما بيني وبينك يا ربّي

تربى ابو نواس تربية اسلامية واتقن علوم الدين ، ولا شك
في ان ضميره وعى هذه الحياة الدينية لما خدمت دواعي الغواية ،
وقد شاء القدر ان يكون ابو نواس بغزله وخمرياته مرآة بغداد
البراقة في افراحها وملاهيها وهي عاصمة الدنيا آنذاك ، كما مثل
بشعره الزاهد مذهب المرجئة الذين يتساحون في الحكم على
المذنب ويننون حياتهم على الانشراح والتعزية كما اشرنا قبلاً ،
كما يمثل احياناً الجبرية في انسياقه مع الهوى كريشة في الريح ،
ويجد الباحث في هذا الشعر سجل الزنادقة ، والاحاد ، والمعتزلة
والشيعة والمزدكية والشعبوية والعربية والميل الى النصرانية ،
والاستهانة بكل جدي في الحياة كالسياسة والاجتماع والاخلاق ،
كما يصور اصدق تصوير حياة النسك والندامة ، بما لا نجده عند
الحسن البصري او عمرو بن عبيد او سعيد بن المسيب ، ومع
هذا كله فانا لا نجد له في شعره الزاهد توسلاً بالنبي كما فعل بعد
ذلك اصحاب المدائح النبوية ، بل يتوجه بروحه المستقلة الى الله ،
وفي هذا الحرية التامة وانغماس في النور المؤمل البعيد .



الغزل قبل النواصي

في الجاهلية :

الشعر الجاهلي مظهر من مظاهر الحب ، والفروسية ،
والبدواة . ويكاد يكون الغزل مفتاح كل قصيدة جاهلية ، الا
انه غزل يجنح الى الحزن ، المتولد من حياة الصحراء وما فيها
من انتقال ، وشقاء ، وفراغ ، وبما تقلب عليها من ظروف ،
كحال المرتحلين بعد سيل العرم ، والمصابين بحوادث الطبيعة من
« عاد وثمود » والذين كانت لهم حضارة عمرانية قبل الاسلام
ببعيد « الم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي
لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود ... »

كانت المرأة عزاء العربي في عيشه الصحراوي المحروم ،
فغنى لقاءها ، وبعدها في مطالع قصائده ، وبكى في غنائها ،
حتى ان سيد شعراء الغزل الجاهلي الامير الكندي وقف وبكى
واستبكى ، لكنه رغم هذا البكاء كان اول حلقة في مدرسة
« عمر المخزومي » اذ مهد له سبيل القصة الغرامية الواقعية ،
المروضة في معلقته ، التي تلتفت اليها قصيدة عمر « أمن آل

نعم « مع فارق العصر ، والحضارة ، والشخصية .

اما عند طرفة ، فإن غزله يمور بعاطفة متعددة الجوانب ،
قلقة الاتجاه ، مقترنة بذلك النداء الداخلي الذي يشيع اليأس ،
وينذر بالموت ، ويدفع الى الحمرة واللذة دفعاً ، مقابل دفعه الى
الحرب ، ففكرة الحب عنده ، ملازمة للقلق من المصير ، والحياة
في نظره باب مفتوح على النهاية .

ولا أظن ان شاعراً جاهلياً مهّد بروحه لابي نواس كطرفة ،
تلك الروح الهاربة من أصواتها الباطنة التي تريد ضجة بسبب اليتيم ،
والفقر ، والظلم ، والطموح ، والكبرياء :

الا ايهاذا الزاجري احضر الوغى
وان اشهد الذات هل انت مخلدي ؟

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني ابادرها بما ملكت يدي

وقال ابو نواس :

اعاذل ما فرطت في جنب لذة ولا قلت للخمار كيف تبيع
اعاذل خلّيني اروّ شيبتي فان بان لي رشد فسوف اربع

وقال : فدعي الملام فقد اطعت غوايتي
وصرفت معرفتي الى الانكار

ورأيت اتباني اللذاة ...
أحرى واحزم ...

أبان طرفة عن لومهم إياه لاندفاعه في سبيل الحرب، واللذة،
ويأسه من حياة أخرى بعد الموت ، فهو لذلك يبادر اللذة
والحرب بكل وسائله .

وابان النواصي عن ذلك اللوم لطلبه اللذة ، وانفاقه المال في
سبيلها ، ولكنه يُظهر لنا في البيت الاول شكه «فان بان لي
رشد » واما في البيت الثاني فيظهر انكاره عن معرفة .

طرفة في سؤاله، ويأسه القلق، واندفاعه الطائش، يقف بفخر
إزاء النواصي الذي لم يعيش الحرب ، ولكنه عاش اللذة ، وزاد
على طرفة بالمعرفة والشكّ والجحود، وهما لا يحترقان ويتململان
عشقاً كعنترة ، واما عنترة فالغزل عنده قويّ الغليان ، محتدم
العاطفة ، تلك العاطفة التي عاشت لاهبة في جوٍّ من الالم ،
والشوق ، والكبرياء ، والبطولة ، فهو ابدأ رغم بساطة عاطفته
بالنسبة الى العاطفة عند طرفة، مضطرع بين رغبته وإبائه ، وعلى
كل فحياته العاشقة اجدر افق تعيش فيه الملحمة، وهكذا كان .
« معلقته مرجع هذه الملحمة » .

اما عدي بن زيد، الذي يعد الحلقة الاولى في مدرسة الوليد،
وابن منذر ، والنواصي ، من حيث غزله المتحضّر الناعم، ومن

حيث مزجه الغزل بالحمرة ، حاكياً قصة رغبته كالنواسيّ مع
بساطته ، وقلة ما له من الشعر ، ولكنه بعيدٌ عن جو الوليد
المضطرب اليأس ، المستهتر ، وعن جو النواسي الذي اتخذ الحب
والحمر ديناً ، لكنه يتفق مع النواسيّ بجذبه حياته بالزهد :

بكر العاذلون في وضع الصبح يقولون لي أما تستفيق ؟
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلبُ عندكم موهوقُ
زانها حسنُها وفرعُ عميمُ وأثيث صلت الجبين انيقُ
لست ادري اذا كثروا العذل فيها اعدوْ يلومني ام صديقُ
ودعوا للصبح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريقُ
الخ ...

واما النابغة والمنخل فشهوَيّان، على ان المنخل يُعدُّ بغزله ،
على قلته ، برزخاً بين غزل ما قبل الاسلام وما بعده ، شاهدنا
على ذلك قصيدته الرائية : ولقد دخلت على الفتاة الحدر ...
فالمنخل يزيد في العذوبة على امرئ القيس ، ويقلّ لبساطته
عن « عمر » .

في عصر بني امية :

هذا العصر بالنسبة الى عصور الحضارة العربية ، عصر بناء ،
وحياة ، واندفاع ، فالسياسة تضرب بين الشيعة ، والخوارج ،
والأمويين ، ومن خلفهم كثيرون من اصحاب المأرب ، كالفرس ،

وابناء الأسر العربية الكبرى ، التي تتطلع الى النفوذ ، والدين لم يعد طريقاً للتسليم المطلق كما في عهد النبي ، بل بدأت تلتهم في الأفق تأويلات ، وتفسيرات ، ومذاهب ، إزاء نشر المذاهب الفارسية الكبرى ، والمجتمع العربي احسن بدمٍ جديد يزيد في سرعة تبدله وتطوره ، والادب وليد هذه الاشياء ، بطريق مباشر او غير مباشر ، هنا ، يكون شعر الحب عنواناً على الشعر ، كما يكون الشعر عنواناً على مقدار الحضارة ، لذلك فعصر بني امية ، عصر الحيوية الناشئة ، او سن البلوغ بالنسبة الى الكائن الفرد .

عمرو بن ابي ربيعة ، نموذج هذا العصر ، بما فيه من جدة ، وشباب ، والوان ، اتخذ طريقة امرئ القيس في الحكاية عن المرأة ، حتى أصبح غزله فتناً قائماً بذاته ، عاش حياته كلها عليه ، لم يتعدّه الى غيره من الشعر ، عرض ، بأسلوبه السهل ، الجميل ، العذب ، ترف بيئته ، وذائقها الاجتماعية ، وصبوة المرأة المسلمة التي تتململ لتعبر عن نفسها بشعر عمر ، عن حياتها بالحب ، بالتحور ، فكان رائد الشباب الحجازي - الذي صرفته الظروف السياسية عن طريقها - الى العبّ من كوثر الجمال ، والتنعم بأطياب الحياة التي عمتهم بخيراتنا ، يساعد كل هذا جوّ من الغناء ، ارهف الحواس وهذب الفرائز ، أشاعه الموالي وتلاميذهم ، فخفف كل ذلك من قسوة التكاليف الدينية .

إذن فعمر زعيم الغزل في هذا العصر ، بل في كل العصور

على رأي طه حسين ، تغنى به متكافئاً مع نرجسيته ، وجهه
 الصادق للمرأة ، حباً حسيّاً يشبه حب ابي نواس في تنقله ،
 ولكنه يقل عنه في تنوعه ، فقد احب ابو نواس بقلبه جنان ،
 واحب بعقله عنان ، واحب بحسه الغلمان ، وكلاهما موكل بالجمال
 يتبعه ، ذلك بين الحرائر الارستقراطيات ، والآخر بين الجواري .
 كان عمر بغزله يمثل الترف الحجازي واللهو والشباب ، كما
 كان جميل العذري يمثل الحب العفيف المتأثر الديّن .

فجميلُ بن مَعْمَرِ العذري ، يمثل تطلع فريقٍ من
 الحجازيين الذين اخفقوا سياسيّاً ، فتطلعوا الى العزاء بالله ،
 بالمثل الأعلى ، وقد عرف هذا الحب العفيف بالعذريّ نسبةً الى
 قبيلة جميل مع أن اكثر العشاق الشعراء لم يكونوا من
 بني « عذرة » .

غزل جميل موقوف على امرأةٍ واحدة ، بثينة ، ليس متنقلاً
 كغزل عمر ، وكلا الشاعرين وقف شعره على الغزل . عمر
 كان عمليّاً في غزله ، بينما جميل اكتفى بأن يحب ، وأن يتألم
 في ذلك الحبّ ، فعشقه غير طبيعي ، ارتدّ الى ذاته ينهل منها ،
 ويفنى في سبيل ذلك ، في جوٍّ من مزاجه الخاص ، ومن تعاليم
 الاسلام ، وتقاليد البداوة ، ثم تطور هذا الحبّ حتى أصبح
 تمهيداً للصوفية ، التي قفزت من المرأة ، الى الله ، ودخلت فيها
 بعد ذلك عناصر نصرانية ، وهندية ، وافلاطونية ، وتفشّت
 العذريّة بين الفقهاء بعد ذلك ، امثال ابن حزم الأندلسي صاحب

طوق الحمامة ، وابن داود الظاهري صاحب الزهرة .

قالت دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة « عذري » :
« الحب العذري في تاريخ الفكر الاسلامي ، موضوع ادبي
فلسفي مقارب للحب الافلاطوني اليوناني ، الذي منه اشتق الحب
المسيحي في العصر الوسيط ، وصاحبه يموت دون ان يد يد
الى المحبوب ، والدافع اليه إحساس رقيق خاص ، بالتقوى
والطهارة ، وفي الحديث من عشق فغفّ فمات ، مات شهيداً .
وقد وصل الى درجته العليا في كتاب الزهرة ، وكتاب طوق
الحمامة ، وكتاب ترجمان الأشواق لابن عربي » .

على هذا يقول احد علماء النفس « إن الدين وما يثبت في
نفوس المستمسكين به من الشعور بالخطيئة ، يعمل على إعلاء
الغريزة الجنسية » .

على أنّ جيلاً كانت تعترضه اويقات كان فيها مادياً
شهوياً كعمر :

ألم تعلمي يا عذبة الريق انني
اظل اذا لم الت وجهك صاديا

واني لأرضى من بثينة بالذي
لو ابصره الواشي لقرّت بلبله

ففي البيت الأول حسٌ شهويٌّ ظاهر ، وفي الثاني صوفية ،
وتأمل ، واني لا ارى في هذا **التناقض** كبير عيب - جرياً
على مذهب قدامة - لولا أن العذرية مذهب في الحب ، قبل
ان تكون مدرسة في الغزل ، هذا الغزل الذي جعل السباعي
زعامته الجميل ، كما جعل طه حسين زعامته لعمر . وأن
الحب لا يجوز التلاعب بحقائقه الروحية .

على العموم شعر هؤلاء العذريين ساذج ، ذو نعمة واحدة ،
كوجه الرمال الفاحلة المترامية ، كما أن شعر « الواقعيين »
متلون متعدد ، كالشرك والوثنية ، في الأول طفولة الاحساس
بالجمال كالصغير الذي يبكي لفقد حلواه ، كأن نداءهم الحزن ،
صدى استغاثة تأتي من وراء الكثبان البعيدة ، في الليل القاتم ،
ولكن فيها جلالاً ونبلاً :

لقد خفت أن القى المنية بغنة وفي النفس حاجات اليك كما هيا
واذا قابلنا هذه المدرسة ، بما عند النواصي الاباحي ، فانما
تقابل نعمة الناي المنفرد ، بمعزوفة من مئة قطعة موسيقية ،
كمقابلة الماء بالحمر ، وظل الكثيب بظل شجرة الياسمين ، يزداد
على ذلك الفرق بين اسلوب النظم بين سذاجة البداوة وتعبيراتها ،
وفن الحضارة وتنوع ألوانها .

الوليد بن يزيد :

« قد شربنا وحنّت الزماره فاسقني يا بُدَيْحُ » بالقرقاره

من شرابٍ كأنه دم خشفٍ عتقته « هشيمة » الحماره
إسقني إسقني فإن ذنوبي قد احاطت فما لها كفاره »

يتحدث « الوليد بن يزيد » عن الشراب ، والسماع ،
والانغماس في الخطايا ، واليأس من الغفران ، فهل هذا شيء غير
« مبادرة طوفة » و « إرواء الشيبه » عند أبي نواس ؟ على
أن طرفة يأس من كل شيء ، بينما عدي بن زيد لا يفكر في
غير غرامه ، وكأسه ، أمّا ما بعدهما ، فلا يعكّر جوه بالتفكير
فيه ، لكن أبا نواس ليس باليأس ، بل « إن بان له رشد
فسوف يُربع » .

« الوليد » نسخة قريبة من أبي نواس في الشك والقلق
والاستهتار ، ولكن الشعر عنده ليس فتناً يعيش له ، بل هو
بحال للتنفيس عن النفس ، يطلقه كيفما جرى ، وهو مع ذلك
قوي الوقع ، يحمل من اعماق صاحبه فلذات روحه .

يتقارب الوليد وأبو نواس حتى في قصر الأوزان وعذوبتها ،
وأما الصدق في كل ما يعينان ، وأما ذلك السؤال في ذهنيهما
الذي يلح في طلب الجواب ، فذلك ما عاشا فيه ، وتعدّبا
لأجله ، كذلك فإن شعر الرجلين اضطرب وضاع بعضه ، على
أن الظروف السياسية كانت أقسى على الوليد - أميراً وخليفةً -
بسبب موقف عمه هشام منه ، وبسبب موقف العباسيين من
الأمويين ؛ ومن نقاط الشبه والتلاقي عند الشاعرين أن الأغاني

ذكر قصيدة « اصدع نجى المهوم بالطرب » للوليد ، ثم قال :
وللوليد في ذكر الحمر وصفها اشعار كثيرة قد اخذها الشعراء
وادخلوها في اشعارهم ، وخاصةً ابا نواس .

على أنّ جامع الديوان ذكرها لأبي نواس ، وعند التمهيد
وجدتُ أنّ القسم الأول منها أرجحُ أن يكون لابي نواس ،
حتى البيت التاسع القائل :

« يا حسننا من بنان ذي خَنْثٍ تدعوك أجفانه الى الريب »
وهو طابع شعر ابي نواس ، وكذلك الشطر الثاني من
البيت العاشر القائل :

« لا بصياح الحروب والعطب »

وكذلك البيت الثالث عشر القائل :

« وردف ظبي اذا امتطيت به أعطاك بين التقريب والحب »
وما بقي فهو للوليد .

ثم رواها الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء وفيها هذه
الزيادة للوليد :

أشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورقاً جوهرها حتى تبدّت في منظرٍ عجب

الى ان يقول :

في فتيةٍ من بني أميةٍ اهل المجد والمآثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهمٌ مثلي ولا منتمٍ لمثل ابي

بشار : يرجع إبداع بشارٍ في غزله إلى موهبته ، وثقافته ،
التي نلاحظها من جميع جهاتها، اتخذ طريقة المخزومي في الحكاية،
أحياناً ، فزاد عليه في التنبّه الى مثيرات الغريزة ، وقل عنه في
العدوبة ، ولكنه استطاع أن ينقل حديث المرأة نقلاً حاذقاً ،
فيه كثير من الفحش والعهر، يكفي ان نقرأ قصيدته «قد لامني
في خليلتي عمر» والأخرى «عجبت فطمة من نعتي لها» لندرك
كيف كانت نفسه تفحّ شهوةً ، وحساً داعراً ، ونساؤه جوارٍ ،
ما فيهنّ حرّةٌ كنساء ابي نواس ، ثم هو خبير بنفس المرأة ،
لا يئأس من وصلها مهما صدّت، لا يرى فيها غير اداةٍ للمتعة :

لا يؤيسّتك من مخدّرةٍ قول تغلّظْه وإن جرحا
عسر النساء الى مياسرةٍ والصعب يُسهلُ بعدما جمحا

وقد بلغ بشار في فنه مبلغاً عظيماً ، فجاء شعره غاية في
إحكام البناء ، وإشراقه ، ودقة معانيه، حتى انه حاكى اسلوب
العذريين فبذّهم بفنه وانسجام معانيه، وإن كان أبعد ما يكون
عنهم من ناحية الصدق في الحب ، وطهارة النفس، فهو في حياته
بين الناس ، كان من اقلهم ظلاً ، واوجعهم لساناً .

ومن معانيه التي تذكرنا بدقة ابي نواس وصوره قوله :

تُلقي بتسبيحةٍ من حسن منظرها
وتستفزّ حشا الرائي بإرعاد

كأنما صوّرت من ماء لؤلؤةٍ
فكلُّ جارحةٍ منها بمرصاد

« تُلقي بتسبيحةٍ » من أجمل التعابير الشعرية ، اذ يشير الى الدهشة امام الجمال ، فيهرب الى المثل الأعلى ، الجمال المطلق ، الذي يُسَبِّح له وهو الله ، والارعاد خفقان الضلوع بقوة ، « وماء لؤلؤة » صافية ، متميّزة بالنفاسة والحسن ، ففي اللؤلؤة كل شيء حسن ، لا تفريق بين جانب وآخر ، لكنّ تشبيهه بحبوبة بشار باللؤلؤة ، لا يخلو من عيب ، اذ أنّ اللؤلؤة جميلة ، ولكنها ليست متنوعة الجمال ، جمالها بسيط له وجه واحد ، وعذره أنّه حَصَرَ وجه الشبه من ناحية الصفاء :

« انا والله استهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاقِ »

« استهي » قوية الدلالة على الشبق ، وفي « اخشى مصارع العشاق » تشبه بالعذريين وفيها من جانب آخر تعويضٌ عن عماه ، وهو كثيراً ما يردد مثل هذا المعنى :

« فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب »

« والأذن كالعين توفي القلب ما كانا »

قصيدته في « فطمة » : عجبت فطمة من وصفه جمالها وهو مكفوف البصر ، ولم تدر فطمة ان بشاراً يصفها بغريزته ، وللغريزة عيونها وإدراكها كما يقول علماء النفس ، ومن تكون « فطمة » هذه ؟ انها بنت ثلاث عشرة سنةً ، فهي فتاة غيرة ، لها وجه القمر ، وقد الغصن ، وردف الكثيب ، تمتاز على اترابها ، امتياز الدرة على مال التاجر ، ولما مديده الفاسقة اليها ، بكت ، ثم شكت الى سيدتها كيف اقتسرها ، وكيف كانت سعيدة بأخذها عنوةً ، فهي تطلب من سيدتها أن تتركها معه لتستزيد من اوطارها ، فعمدت سيدتها الى ضربها مهتاجة غضبي ، فأخذت تولول وتبكي .

هنا يتبين لنا سوء نفس بشار ، وقبح شعوره ، اذ يستحسن دمع عينها وهي تبكي من الضرب ، فيغسل الدمع كحل تينك العينين ، واين هو من رؤية ذلك الحسن !! ثم يستنجد بعد ذلك بالنوام ، ليسأله عن طعم السهر ، ليخبرهم عن نفاقه في الحب اذ لا داعي لازعاج النائمين فهو معروف بتقليده المحبين في الروح ، وان فاقهم جميعاً بجمال الاسلوب .

هذا هو بشار ، الذي يقل عن ابي نواس لطف طبع ، وحلاوة روح ، وتنوع غزل ، وامتداد آفاق ، ويفوقه قوة بناء محكم .

معاصروه الغزلون :

مرّ بنا أن للنواسي عشراء (عصابة سوء) كانوا على شاكلته

مجوناً وانطلاقاً ، لكنهم كانوا يعيشون متحابين كأنهم شخص واحد ، يفسقون معاً ، وقتلما ينفصلون ، وينفقون ما تيسر بالسوية ، وكان ابو نواس - عظيمهم - باراً بهم شديد التعلق بعشرتهم ، يذكرهم بالاحلال والترفع عن النظر :

يريد ان يتسوَّى	« بالعصبة » المجانِ
بعجردٍ وعباد	والوالي المجانِ
وقاسم ومطيع	ريحانة الندمانِ

الحسين الخليع : الحسين بن الضحاك ، الاشقر او الخليع ، الباهلي البصريّ ، من اقرب الشعراء الى قلب النواصي والى كل قلب ، قد لا يدانيه شخص آخر في عذوبة روحه ، وروعة فنه الشعري ، قال عنه الجاحظ :

« إنه من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم ، وكان ماجناً خليعاً مطبوعاً ، حسن التصرف في الشعر ، وكان ابو نواس يُغير على معانيه في الحُمر . »

قال ابن رشيق إن الحسين انشد أبا نواس قوله :

كأنما نصب كأسه قمرٌ يكرع في بعض انجم الفلكِ

فنفّر ابو نواس نفرةً منكراً ، وقال : « هذا معنى ملبح وانا احقُّ به ، وسترى لمن يُروى » ثم انشده بعد أيام :

إذا عبّ فيها شارب القوم خلته
يقبّل في داجٍ من الليل كو كبا

قال له الحسين : « هذه مصالّة يا ابا علي » فأجابه ابو نواس :
« انظن انه يروى لك معنى مليح وانا في قيد الحياة ؟ »

وهكذا فقد سار بيت ابي نواس ، ونُسي بيت الخليع ،
مع ان فيه ذكر القمور وله فضل السبق ، ولكن بيت ابي نواس
أملاً للفم والسمع ، وأعظم هيبةً في النفس والصدر .

غير أن ابن رشيق اخطأ الحسّ تماماً في تقدير البيتين ،
فالحسين في بيته يفضل ابا نواس حتماً ، وليس في بيت النواسي
غير « القعقة » ومعناه بسيطٌ عاديٌّ ، بينما التعبير بـ « يكوع »
يعدل بيت ابي نواس — والحق يُقال —

صلّ بخدي خديك تلقّ عجبياً من معانٍ يحار فيها الضميرُ
فبخديك للربيع رياضٌ وبخدي للدموع غديرُ

في هذين البيتين صنعةٌ ، ومعنى مألوف ، لكن فيها جمال
موسيقى ، وحلاوة تعبير ، لكنّ القطعة التالية رائعة مُرقّعة :

لا وحبّيك لا اصافح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استراح وإن كان موجعا

كبدني في هواك أسقم من أن تقطعا
لم تدع سورة الضنى في السقم موضعاً

ومن القصائد التي اختلط فيها ما له بما لأبي نواس مشتبهاً ،
قصيدة « أيا من طرفه سحر » فقد رواها ابن خلكان للحسين ،
وجاءت في ديوان أبي نواس مختلفة بعض الشيء ، اذ تغير الشطر
الثاني من (ومن ريقته خمر للحسين) الى (ومن مبسمه در)
لأبي نواس) ولكن الابيات الثلاثة الباقية هي نفسها في الموضعين ،
غير ان الديوان زاد اربعة ابيات على القطعة فصارت ثمانية ،
والزيادة اضعف من جميع الوجوه ، من الاصل ، فهي اما أن
تكون من زيادة الرواة عن قصد او غير قصد ، او من تريد
أبي نواس نفسه ، معتقداً أن ابا نواس اذا زاد ، فانه لا يقل
عن الاصل بحال ، إن لم يَفُقْ ، مع هذا فاني اشم رائحة الحسين
في الابيات الاولى الاربعة الرئيسية ، إذ أن للحسين اذناً موسيقية
مرهفة ، وإحساساً فنياً بالوزن ، والكلمة ، والحرف ، يكاد
يكون منقطع النظير لولا قلة ما له من الشعر ، وعدم تعدد
نواحيه ، زيادة على ذلك فالقصيدة خالية من ألفاظ أبي نواس
الغلامية ، والحسين على كل حال اقل من أبي نواس فحشاً ، بل
اكنه يساويه ظرفاً ، ولم يتبذل للعامة والشُّطَّار مثله ، بل
كان محافظاً على صلته بالطبقة العليا ، كالمهدي ، والامين ، وصالح ،
وعيسى اولاد الرشيد ، وكان من اخص ندماء المتوكل وله معه
احاديث ممتعة رواها ابن رشيقي ، واذا كان النواصي مولعاً بالعبث

بالدين ، والاخلاق ، واللغة ، ليغيب النحويين ، فان الحسين
بقي محافظاً ، إرضاءً لأبناء القصور ، لكنه 'شهر بجب' « يُسر »
غلام صالح بن الرشيد وله فيه قصيدة ميمية من اجود الشعر
العربي :

قد غابَ لا آبَ من يراقبنا ونام لا قام سامر الخدم
الى ان يقول :

ما ليقيني بالشكّ ممتزجٌ حتى كأنني اراه في حلم
أمسحُ عيني مستتبّاً نظري أخالي نائماً ولم أنم

القصيدة على طولها ، مثل 'مختار' للكلام الأنيق ، والمعنى
الشريف ، والعدوبة الآخذة باللُثْب ، والنغم الطافح في القصيدة
كلها ، خاصةً في البيت الاول بين (غاب ، آب) ، وبين
(نام ، قام) .

مسلم بن الوليد : لثَّبتَ مسلمٌ « بصريع الغواني » لقوله :

سأنتادُ للذَّاتِ متَّبِعِ القنا
لأَمْضِيْ هَمًّا أوْ أُصِيبُ فِتًى مثلي

هل العيش الا أن تروحَ مع الصبا
صريع حميّا الكأس والاعين النُّجل

وقال :

« صريعُ غوان » راقهنَّ ورُقْنَه
لذن شبَّ ، حتى ابيضَّ سود الذوائب

وهو اول من اشاع البديع في الشعر .

وقال عنه الحصري : ومسلم اول من لطّف البديع ،
وكسا المعاني حلل اللفظ الرفيع ، وعليه يعوّل الطائي « ابوتام »
وعلى ابي نواس . ومن اطيب معانيه الشعرية قوله :

فغطّت بايديها ثمار نخورها
كأيدي الاسارى اثقلتها الجوامعُ

فهذه صورة فوتوغرافية فائقة . يحكى انه فاجأها وهي
متكشفة ، فغطت نهديا بيديها مشتمكتين ، اشتباك يدي الاسير
مقيدين ، ومن الطف تعبيراته عن النهدين قوله « ثمار النحور » .

لكن مسلماً اتخذ البديع غايةً ، بعد أن كان وسيلة الى
الجمال الفني ، فهو ظاهر التكلف والصنعة ، ولكنه موازٍ لابي
نواس في الثقافة ، ويقل عنه شذوذاً ، وختم حياته بالوظيفة كما
ختمها النواصي بالزهد ، ومن شعره قوله :

فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوءها
وتجزع من بعدي ، وتنفر من قربي

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها
أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

نعم ، الحيلة يا صريع الغواني ان لا تقول فيها شعراً كهذا
لضعفه ولأنها مجنونة .

مطيع بن اياس : مطيع الكناني ، ابن شاعر ، وهو من
مخضرمي الدولتين ، ليس من الفحول ، ولكنه يُقرن بأبي
نواس في الظرف والمجون وحلاوة العشرة ، والتحرر ، قيل فيه :
« لا تسأل عن رجل اذا حضر ملكك ، واذا غاب عنك شاكك ،
واذا عُرفت بصحبته فضحك » .

كان مطيع « ربحانة الندمان » كما قال عنه ابو نواس ،
كثيراً ما تختلط اخباره باخبار ابي نواس ، وكذلك اشعارهما ،
كقصته مع يحيى بن زياد والجارية ، وكالقصيدة النونية التي
رواها ابو الفرج لمطيع :

لما خرجن من الرصافة كالتماثيل الحسانِ
يحففن احوار كالفزال عيس في جدل العنانِ

ورواها الديوان لابي نواس « اقبلن » بدلاً من « لما خرجن »
ويتفقان في الشطر الثاني من البيت الاول ، وفي الشطر الاول
من البيت الثاني ، كما يتفقان بمعنى الشطر الثاني من البيت الثاني
« أمر إمرار العنان » .

واما باقى قصيدة ابي نواس فرائع المعنى ، محبوبك النسيج ،
يختتمها بصرخة شاكية ، يائسة ، هلوعة ، داعياً - كعادته -
الى اللهو ، ونسيان الهموم ، واما باقى قصيدة مطيع فمخت
ركبك « يا طول حر صابتي » « ويلى على تلك الشائل » فهو
لا ينهض قبالة ابي نواس بحال .

وقد عرض له الاغاني عدة مقطوعات اكثرها قصير الوزن
(مستفعلن مستفعلن) . ومن اشهر ما له واجوده ، قصيدته
في ابنة الدهقان جاريته لما باعها ، وندم ، وشكا وتحرّق ،
وهي معروفة بالشعر العربي بعنوان « نخلتي حلوان » ولها صيت
ذائع عند الخلفاء كالرشيد والمأمون ، وهي من ارق ما يروى في
باب الاشواق ، وأنا لا اذكر هذه القصيدة الا تداعت في ذهني
ابيات عبد الرحمن الداخل في النخل :

بدّدت لنا وسط الرصافة نخلة ...

فلهذا الشجر تأثير في النفس يحركها بتهدل اغصانه كأنه
فيلسوف الشجر .

تكاد تكون هذه القصيدة فريدته لما فيها من عناصر
الانسانية السامية :

إن تكن ودّعت فقد تركت بي لهباً في الضمير ليس بوان
كحريق الضرام في قصب الغاب رمته ريجان تختلفان

التعبير بالضمير وبالريحين تحتلفان أغلى ما في جو القصيدة الشعري ، على أن النواصي اذا تفوق على مطيع في الشهرة ، والشاعرية ، والزندقة ، فإن مطيعاً يفوقه سلامة نفس ، وظرف روح .

الفضل الوقاشي : كان مطبوعاً ، سهل الشعر ، نقي الكلام ، عاشر النواصي ، وناقضه ، وهاجاه ، وكان منقطعاً الى البرامكة فاغنوه عما سواهم ، ثم كان وفيّاً لهم ، ولا يقاس بأبي نواس ، ولا بالحسين ، ولا بمطيع .

والبة بن الحجاب : أقرب اصدقاء ابي نواس ، واساتذته الى نفسه ، كان وصافاً للعلمان والحرمة ، وشعره فيما عداها ضعيف .

روى ابو الفرج عن ابن قتيبة أن الدعلجي غلام ابي نواس أنشده :

« يا شقيق النفس من حكم » وكان ابو نواس قد سكر فقال : « اخبرك بشيء على ان تكتبه ؟ » قلت « نعم » قال « أتدري من المعني بها ؟ » قلت « لا والله » قال « انا والله المعني بذلك » والشعر لوالبة ، وقد رواها الديوان لابي نواس ، وقد رجعت الى ابن قتيبة فوجدت أن الدعلجي يرويها لوالبة ، اذن ما بقي من الحديث انما هو من زيادة ابي الفرج .

الظاهر أن فيها من نظم الرجلين شأن اكثر القصائد المضطربة بينه وبين غيره من الشعراء .

قيل إنَّ أول امر النواصي معه ، كان بسبب زيارة والبة
قريبه في الأهواز ، وكان والياً للمنصور ، فألقى عنده ابا نواس ،
وهو امرء ، فصعبه ...

وبما اختلط من شعرهما بيتان من قصيدة لوالبة :

ولها ولا ذنب لها حُبُّ كأطراف الرماح
في القلب يقدر الحشا فالقلب مجروح النواحي
وفي ابن منظور :

جرحت فؤادك بالهوى فالقلب . .
واما الديوان فقد ذكرهما في جنان كما يلي :

ولها ولا ذنب لها لحظ كأطراف الرماح
في القلب يجرح دائماً فالقلب

ثم إن كلمتي « دائماً » عند النواصي ، و « الحشا » عند والبة ،
ليستا مطمئنتين في موضعهما ، فهما ضعيفتان ، ولا لوم على
ابي نواس اذا اغار على استاذة فقد كانا كأنهما نفس واحدة ...

هذه القصيدة ضعيفة ، غير منسجمة ، مبتورة في آخرها في
ديوان ابي نواس ، واغلب الظن أنه لم يقل شيئاً منها مطلقاً ، فهي
ليست في سوية شعره بحال .

العباس بن الاحنف : قال ياقوت عن العباس : إنه « شاعر مجيد رقيق ، اوقف شعره على الغزل » وقال الحصري : « كان من احسن خلق الله حديثاً ، واحسنهم اذا حُذِّث سماعاً ، وامسكهم عن ملاحاة اذا خولف ، وكان ظاهر النعمة ، حسن الهيئة » وبعد أن اطنب في وصفه قال : « ولم يكن هجاء ولا مدحاً ، كان يتنزه عن ذلك ، ويشبهه من المتقدمين **عمو بن ابي ربيعة** » ، وسئل عنه ابو نواس فقال : « هو ارق من الوهم ، واحسن من الفهم » ، وكان ابو الهذيل العلاف المعتزلي اذا ذكر العباس ، لقبه ورثاه لقوله :

« وضعتُ خدِّي لأدنى من يُطيف بكم
حتى احتقرتُ وما مثلي بمحتقر

اذا اردت سلواً كان ناصركم
قلبي وما انا من قلبي بمنتصر

فكثروا او اقلوا من ملامكم
فكل ذلك محمولٌ على القدر »

الشرط الثاني من البيت الثالث ورد معناه في ديوان ابي نواس :

فإن عاتبته فيه احوالتي على القدر

على ان تشبيه « الحصري » للعباس بعمر بن ابي ربيعة محمولٌ على أنه اوقف شعره على الغزل مثله فقط ، واما من ناحية

الروح فهو اقرب الى « جميل » منه الى « عمر » ، وبما روى له ياقوت قوله :

قلبي الى ما ضربي داعي يكثر اشجاني واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي !

ومن ارق ما روى له الحصري في زهر الآداب قصيدة
بائية تعد غابة في الرقة ، ولطف المعنى ، إلا أنها منسوجة على
منوال قصيدة بشار البائية ، فهما على وزن واحد ، وروي
واحد ، استعمل « العباس » السيل الذي يعذب ماء إذا مر
بقرب « فوز » كما استعمل « بشار » الريح التي تحمل طيب
« عبده » على أن « العباس » أجاد أكثر من أبي نواس في الاغارة
على قصيدة بشار البائية هذه .

« العباس » امتداد للعذرين ، في صحة الهوى ، ورقة
الوجدان ، لكنه يفوقهم جمال اسلوب ، وانسجام معان ،
ونعومة حضارة ، ولطف اختراع ، وهو على شيء من الميوعة
والضعف ، إزاء فحولة أبي نواس ، وتنوعه ، ومباهجه ، وله
مساجلات مع أبي نواس عرضها جامع الديوان ، ولكن ما
نُسي من معارضتهما أكثر مما روي بكثير ، وكان من اخلص
المقربين اليه ، بيد انه لم يشترك معه في المجون .

ابو العتاهية :

اسماعيل بن القاسم ؛ سمي بالعتاهية لانه كان اول امره

لجئنا بحب الشهوة والمجون . قال عنه ابن قتيبة « وغزله ضعيف
 مشاكل لطبايع النساء » ، وقد كان ابو نواس يجلُّ ابا العتاهية
 ويقدره ، وكان ابو العتاهية يخشى ابا نواس ويجلُّه ، ويتوسل
 اليه أن لا يقول في الزهد لأنه من اختصاصه ، اتهمه ابن قتيبة
 بالزندقة ، وكان الناس يختلفون في تفضيل احدهما على الآخر ،
 روى له الحصري ما يلي :

« يا من تفرد بالجمال فما ترى
 عيني على احدٍ سواه جمالا

اكثرتُ في قولي عليك من الرثي
 وضربتُ في شعري لك الامثالا

بالله قولي إن سألتك واصدقي
 ارأيت قتلي في الكتاب حلالا ؟

أم لا ففيم جفوتني وظلمتني
 وجعلتني للعالمين مثالا ؟

كم لائمه لو كنت اسمع قوله
 قد لامني ونهى وعدّ وقالا «

هذا الشعر في « عتبة » التي احبّها وشغف بها ، ولكن الرواة
 يزعمون انه كان يتصنّع ويتخلق باخلاق المحبين ليذكر بذلك .

الحبُّ ليس بما يعاين الناس به بعضهم بعضاً ، فالحق أن « العناهي » كان محباً ، ولكنه كان ضعيف الشخصية ، بحيث لا تظهر رجولته وراء كلماته ، وإلا فالرجل مطبوعٌ على قول الشعر ، عالم باللغة ، متمكن من الفن ، ذو حسٍّ رقيق ، وقصيدته حلوة النغم ، سهلة الالفاظ ، لينة المقاطع ، تصلح للغناء ، ولكن البيتين الأولين فيها اقوى نسجاً ، وألطف معنىً ، والباقي مائعٌ طري ، واكثر شعره من هذا الطراز ، وقد بلغ من مهانته ورخصه ، أنه كان يتوسل ، بالله ، وبالمهدي وبالشيد وبالمغنين ، ليرفقوا قلبها عليه ، ولكنها كانت تزداد منه نفوراً وتحتقره .

وقد يطلب منها ان تعدّه بالوصل في العام المقبل ، فأين هو من فحولة النواصي ، والحسين ، وبشار ، وغيرهم ؟ على أنه يتفق مع النواصي من حيث الميل الى الالفاظ الواضحة ، والاوزان القصيرة ، الصالحة للغناء ، ولو كان الشعر بناء ، او فكرة ، او عاطفةً ، او خيالاً ، او موسيقية الفاظ وتراكيب ، وحدها ، لقارنناه بالنواصي ، ولكن الشعر هذه الاشياء التي ذكرتها ، ومعها شيء آخر له كل الاهمية ، ذلك هو الشخص الذي يعطي مقدار حيويته ، ونشاطه الروحي ، زيادة على تجربته الشعرية .

هذا بالرغم من ان ابن رشيق يغتفر له وللعباس « الركافة واللين المفرط » جرياً على مذهب من يؤثرون سهولة اللفظ ، كأن القضية قضية أمزجة الناس ، واستشهد معجباً بقوله :

« يا إخوتي إن الهوى قاتلي فيسروا الا كفان من عاجل
 عيني على عتبة منهلة بدمعها المنسكب السائل
 يا من رأى قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجد على القاتل
 بسطت كفي نحوكم سائلاً ماذا تردون على السائل
 إن لم تنيلوه فقولوا له قولاً جميلاً بدل النائل
 أو كنتم العام على عسرة منه فمتّوه الى قابل »

قال العمدة : « وقد اجتمع النواصي ، والعتاهي ، والخليع ،
 فاتفقوا على ان ينشد كل منهم شعراً في غير المدح والهجاء ، فلما
 بدأ العتاهي بهذه القصيدة امتنعا عن الانشاد إعجاباً بها . »

هنا ، آخذُ كلام « العمدة » على عواهنه ، مبيّناً ان القصيدة
 من حيث بناؤها رائعة الموسيقى ، غايةً في الانسجام التعبيري ،
 لكنها من حيث الاحساس الشعري ، رخيصةٌ فيها نفس « الخادم
 العبد » فقد اتخذ من الحبّ معنىً تجارياً « عسرة » « دين » فاذا
 انت لم تدفعي يا عتبة هذا العام ، فلا بأس فهو يتساهل معك
 دون فائدةٍ قانونية ، ولكن على ان تدفعي في العام المقبل ،
 فهذا آخر مدى لك ، فهل هذا غزل ؟

واما بقية اجواء القصيدة فهي تتلخص كما يلي :

« يا اخوتي ان الهوى يقتلني ، فاعدوا اكفاني ، لانني دائم
 البكاء لهجران عتبة » وكان عليه ان يقدم معنى البكاء على معنى

القتل للانسياق المنطقي الفتي بخصوصهما .

واما البيت الثالث فهو مأخوذ المعنى من جميل بن معمر
العذري القائل :

« خليليؑ فيما عشتا هل رأيتا
قتيلًا بكى من حب قاتله قبلي ؟ »

وبيت جميل اذق معنى ، واوضح عاطفة ، وله فضل السبق
وهو كما يقول الاقدمون « أملاً للقم » ، والاستفهام عند جميل
الطف شعرياً من النداء عند العتاهي ، وموجة بيت جميل اقوى
بينما هي عند العتاهي متهاكة مخنثة ، ثم يضع نفسه موضع السائل
وهذا فساد في الذوق الشعري والغرامي ، إذ ليس الحبُّ بما
يتصدق به الناس بعضهم على بعض .

بعد هذا الاستعراض لاجمل قصائد العتاهي الغزلية ، تبين
لنا ان كلام « الحصري » السابق ، وكلام « الآمدي » في مقدمة
« الموازنة » بين الطائيين القائل : « انه من الصعب الحكم في
تقديم احد الشاعرين العتاهي والنواسي على الآخر » ، بعد هذا
يظهر الجور في المقارنة بينهما ، فأين هو من آفاق النواسي ؟

واذا فخر النواسيُّ على « صاحب التاج المحجَّب في القصر »
فهل من الخلق الانساني مقارنته بشاعر يكتب هذين البيتين الى
احد الرؤساء وقد اهدى اليه نعلًا :

نعلٌ بعثت بها لتلبسها تسعى بها قدمٌ الى المجدِ
لو كان يحسن ان اشرَّ كما خدي جعلت شراكها خدي

ولم يعلم المسكين ان «لو» وهيمّة وان اعصاب خده ليست
علاقة جيدةً لنعل متينٍ ، بل انيق .

من ذلك ان العتاهي اهدى الى «المهدي» «برنيّةً صنيّةً»
فيها ثوبٌ مُعَطَّرٌ مكتوبٌ عليه بالغالية :

نفسي بشيء من الدنيا معلقةٌ
الله والقائم المهديُّ يكفيها

اني لأياس منها ثم يطمعني
فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهمٌ ان يدفع اليه «عتبة» فقالت : «يا امير المؤمنين ، اتسلمني
الى بائع جرار يتكسب بالشعر مع حرمتي وخدمتي ؟ » فبعث
اليه المهديُّ ملء البرنيّة ذهاباً وقال له : « اما عتبةُ فلا سبيل
لك اليها . »

(نذكر قصة النواصي مع معشوق الغلامية للمقارنة)

يا عتب ما انت الا بدعة خلقت
من غير طينٍ ، وخلقُ الناس من طينٍ

اما الكثير فلا ارجوه منك ولو
اطمعتني في قليل منك يكفيني

ما هذا الحب ؟ اراد ان يقلد جميلاً في قوله :

واني لأرضى من «بثينة» بالذي
لو ابصره الواشي لقرئت بلابله
فسخف وفسد .

الا يا عتب' يا قمر الرصافه
ويا ذات الملاحة والنظافه
« النظافة » كلمة توجه لاحدى موظفات كنس الشوارع لا
الى جارية في قصر اميرة .

اظل اذا رأيتك مستكيناً
كأنك قد بُعثت اليّ آفه
من اغرب الأشياء ، تشبيه المحبوب بالآفة .

وقيل انه احتال في زي ناسك ليقتل يد « عتبة » ويا ليته
قبل قدميها لكان أليق بسخيفٍ في حبه .

وذكر « صاحب مروج الذهب » أنه تعطف الرشيد بشعر
بيكلم له « عتبة » عليها ترضى عنه ، فلما فعل الرشيد ، قالت :
« كل شيء لامير المؤمنين الا ابا العتاهية فقد حلفت لابيك المهدي
على ذلك » فيئس العتاهي ، ولبس الصوف زهداً .



الغزل بعد ابي نواس

ربما استطعتُ أن أشير الى مركز ابي نواس بين شعراء الغزل الذين تقدموه ، ليجيء الحديث عنه التفاتةً معجبةً إلى موضعه في « القبة » بين عظماء هذا الفن ، لا بالنسبة الى الماضي وحده ، بل إلى جميع عصور الغزل العربي ، وأن عمر بن ابي ربيعة صاحب مدرسةٍ بخصوصها ، كجميل بخصوصه ، يختلفان عنه اختلاف عصر بني العباس عن سابقه من شتى الجهات ، وأخصّ مظاهر الاختلاف « شخصية » أبي نواس ، وحياته ، بالنسبة الى « عمر وجميل » .

فالحياة ، والتفكير ، والشعر ، اشياء ثلاثة ليست شيئاً آخر غير أبي نواس ، لهذا كان عظيم الأثر في الذين تأخروا عنه ، نذكر منهم أبا تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، والمعري ، والصنوبري ، وكشاجم ، والفارضي ، اذ قلّ أن يمر ناقد عربي بما أخذوه عنه دون الخوض فيه .

على أن أكثر الذين اخذوا عنه ، إنما اقتبسوا جزئياً ، إذ يضمن أحدهم معنى بيتٍ من أبياته ، فيمسخه او يقل عنه أو يساويه ،

إلا أن « كشاجم » و « الصنوبري » قلّداه في الطريقة ،
فازدريا الوقوف على الأطلال ، وامعنا في وصف الرياض ،
ومجالس الحمر ، وكذلك فعل « السريّ الرفاء » معاصرها ،
والمقرب مثلها من سيف الدولة ، وابن هم من آفاق أبي نواس ،
اذ أن التقليد عبوديةٌ رخيصة ، وقد كان للثورة على طريقة
الاقدمين الملتفتين الى الاطلال قيمة في عهد أبي نواس ، لأن
الشعراء كانوا بمعنيين في المحافظة على القديم بينما لا محل لهذا في عهد
« سيف الدولة » .

وقد حاولتُ أن اجد شاعراً غزلاً بعد أبي نواس ، عاش
حياته العاطفيةً بحريةً وانطلاقاً ، فلم افلح للاختلاف بينهم من
جهة العصر والشخصية ، فشعر الحب وإن كان ظاهرة نفسية
فردية ، فهو من جهة أخرى وليد الشخصية الاجتماعية ، يحتاج
الى فحولة الفرد ، وعنفوان الجماعة ، لذلك كان شعر المخزومي
عنوان الشباب ، وكان شعر النواصي عنوان النضج ، كما كان
شعر جميل دلالةً على الوفاء والطهر ، وإعلاء الغريزة ، كما أن
ابن الفارض الشاعر الغزلي الصوفي يمثل طور الهرم .

فالكندي ، والمخزومي ، وجميل ، وأبو نواس ، والفارسي ،
خلاصةٌ وافيةٌ تمثل أطوار الغزل العربي في عصوره المختلفة ،
يظهر بينهم النواصي قمة الهرم ، في حريته العاطفية ، وتجربته
الفنية ، وشعوره الحصب ، وثقافته المتنوعة ، وشخصيته المهيمنة ،
على انني لا أنسى « الأندلس » التي كانت تلتفت الى « المشرق »

في اكثر شؤونها ، فقد عرفوا ابا نواس واخباره ونوادره .

وقد كان للقوم شعر في الغلمان والحمر والطبيعة ، ولكن واحداً منهم لم تحفل حياته الشعرية بالصدق ، والانطلاق كأبي نواس ، وما ابن زيدون الا صورة في غزله عن البحتري ، والشريف الرضي في حدود لا تسمح بمقارنة مع ابي نواس .

هنا يحق لي ان اقف لمحةً لألقي نظرةً على « الحيام » وغيره من كبار شعراء الفرس الذين عاشوا بعده ، لافتاً النظر الى أن مثل هذه اللمحة ضرورية لما بين هؤلاء وابي نواس من توافق في الروح ، والموضوع ، والحياة ، ولما يؤثر عن ابي نواس من محبته للفرس « بني الأحرار » وربما كان للورثة بعض الأثر في ذلك الميل ، فهذا هو « الروذكي » اول شاعر فارسي غنائي لمع في عهد نصر الثاني (٩١٣ - ٩٤٢) داعياً الى فلسفة في الحياة بعيدة عن الهم والغم ، ناضجة بالحبور ، مستوحاة من حب النساء ، والغمر ، والغناء ، رغم وصايا الاسلام .

ولا يعزبُ عن البال « حافظ » شاعر الفرس الأكبر المتوفى سنة ١٣٨٩ والذي تغنى - كأبي نواس - بمباهج الشباب ، والحمو ، والغلمان ، ساخراً كأبي نواس من الرياء ، والغلاظة ، والجهل ، مستخففاً بقيم الحياة ، ناشداً اللذة بحرية وانطلاق .

واما « عمر الحيام » صاحب « الرباعيات » (المشهورة في آداب العالم ، والتي ترجمها الى العربية عدة ادباء منهم السباعي ،

ورامي، والنجفي) فهو يدعو فيها الى الاستمتاع بمباهج الحياة ، وفيها تحلُّ الحُمرة ، والحبيبة المحل الأول إزاء الشكوك ، والقلق ، والتشوق الصوفي العميق .

موضوعات الحيام في الرباعية تكاد تكون في أصلها الذي تدور حوله ، نفس موضوعات النواصي إلا أن الحيام اعمق فكرة ، واقوى منطقاً ، وابعد مدًى في السخرية ، والشك ، « يُذيب أساس الاسلام في وحدة وجود صوفية » كما يقول بروكلمن ، وقد اعتمدت على ترجمة الصافي النجفي لرباعياته ، وقابلت كثيراً من معاني الرجلين فوجدتها متقاربة ، وليس بين يديّ ما يُثبت أن الحيام اطلع على ابي نواس الا شيئان : الاول هذا التوافق في المذهب والحياة ، ومعاني الأبيات ، والثاني اطلاع الحيام اطلاعاً واسعاً على اللغة العربية وادبها ، فقد كنت نشرت في مجلة « الأديب » البيروتية سنة ١٩٤٧ مقالاً تحت عنوان « ساعة استعرب الحيام » عرضت فيه بعض قصائد له في العربية نظمها في غير موضوعات اللهو .

ومن جملة ما عرض لي عند مقابلة معاني الحيام بمعاني النواصي أنني وجدت تلاقيهما في أكثر من خمسين موضعاً ، وهذا لا يأتي صدفةً ، عالماً أن مثل النواصي على سبقه الحيام في الوجود ، قد كان اشهر من أن ينوه به وبمذهبه في العالم الاسلامي المترامي الأطراف .

انتهى

الفهرس

٣	توطئة .
٧	غزل ابي نواس .
١١	الغزل النسائي النواسي
١٣	جنان . . .
٢٣	حججه مع جنان
٢٨	مع « عنان » . .
٣٦	النواسي والجواري الأخريات .
٤٩	الغزل الغلامي : النظرة التاريخية
٥٢	النظرة البسيكولوجية .
٥٧	مظاهر غزل ابي نواس الغلامي
٧٧	غزله في الغلاميات . .
٧٩	مع معشوق الغلامية
٨٣	غزله في الغلمان الجواري
٨٤	الغزل الحمري .
٨٧	الحمرية النواسية

٩٧	الغزل التقليدي . .
١٠٠	خصائص الغزل عند ابي نواس
١١٩	مقدار ابي نواس . .
١٣٣	الشك والقلق عند ابي نواس .
١٤٢	المجون النواصي . . .
١٥٣	الغزل قبل النواصي في الجاهلية
١٨٤	الغزل بعد ابي نواس .

٥٤/١٢/٧٦

المجموعة القصصية

مختارات من روائع القصة العالمية

ق. ل

- قصص مختارة من الأدب الروسي ترجمة : نجاتي صديقي ١٠٠
- قصص مختارة من الادب الصيني ترجمة : نجاتي صديقي ١٠٠
- قصص مختارة من الادب الفرنسي ترجمة : سهيل ايوب ١٠٠
- قصص مختارة من الادب الهندي ترجمة : محمد عيتاني ١٠٠
- قصص مختارة من الادب الاسباني ترجمة : نجاتي صديقي ١٠٠
- قصص مختارة من الادب الفارسي ترجمة : محمدرشدان ١٠٠
- قصص مختارة من الادب السكندنافي ترجمة : سمير شيخاني ١٠٠
- قصص مختارة من الادب الالماني ترجمة : سهيل ايوب ١٠٠
- قصص مختارة من الادب الانكليزي تحت الطبع ١٠٠
- قصص مختارة من الادب الايطالي تحت الطبع ١٠٠



المجموعة الأدبية

ظهر منها

- | | |
|------------------|---------------------------|
| جبران خليل جبران | ١ - رسائل جبران |
| مي زيادة | ٢ - رسائل مي |
| مي زيادة | ٣ - ظلمات واسعة |
| حسين مروة | ٤ - مع القافلة |
| مي زيادة | ٥ - ازاهير حلم |
| جميل جبر | ٦ - مي في حياتها المضطربة |
| الدكتور علي شلق | ٧ - غزل ابي نواس |

نطلب هذه الكتب من

وكيل الدار في عموم افريقيا السيد محمد خوجه - تونس
وكيل الدار في عموم العراق السيد محمود حلمي - بغداد
في لبنان - شركة فرج الله للطبعات ودار بيروت